وزارة التعليـم العالـي والبحث العلمـي
جامعة محمد بموضياف بالمسيلة

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي:
رقم التسجيل : 13/ MD/018

شعريـة السـرد القصصـي عنـد جبران خليل جبران

- نمـــاذج تطبـيقـية -

مذكرة مكملـــة لنيل شهـــادة الماستر

الميدان : اللغة والأدب العربي فرع : الأدب العربي تخصص : أدب عربي حديث

إعداد الطالبة :
- ربيعة براخلية

إشـــراف
أ/عبد الرحمان بن يطو

تاريـخ المناقشـة :2015/06/04

أمام لجنة المناقشة :

- أ/ محمد بوسعيد ، رئيسا .
- أ/ عبد الرحمان بن يطو ، مشرفا ومقررا .
- أ/ وهيبة بوشليق ، ممتحنا .

السنة الجامعية : 2015/2014

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

بعد شكر المولى عز وجل المتفضل بجليل النعم وعظيم الجزاء

يجدر بي أن أتقدم ببالغ الامتنان وجزيل العرفان إلى كل من وجهني وأخذ بيدي في سبيل إنجاز هذا البحث

وأخص بالشكر الأستاذ المشرف الدكتور: عبد الرحمان بن يطو

الذي قوم وتابع وصوب بحسن إرشاده لي . . فلك مني كل الشكر والتقدير

دون أن أنسى من عبَّدت ليَ الطريق بجميل حلمها وصبرها معي . .

صديقتي وشقيقة الروح مني أستاذتي الموثقة : شهرزاد رقيق .

وكل الشكر أيضا موصول للتي رغم البعد والمسافة لم تبخل علي بتشجيعها ونزرعها الأمل والتفاؤل بطريقي

الصديقة . .الإعلامية بقناة النيل المصرية : سلوى رشاد .

كما أتقدم بالشكر إلى كل أساتذة قسم اللغة العربية وآدابها، وإلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد .

وأسأل الله أن يجزيهم عني خير الجزاء .

مقدمة

تشكل الشعرية محور اهتمام النقاد والبلاغيين ومنظري الأدب في العصر الحديث ، والشعرية ليست حكرا على الشعر فقط – وإن كنا لا ننكر أن للشعر الحظ الأوفر منها – بل تتعداها إلى النصوص النثرية . فسرت الروح الشعرية في مختلف الفنون ، بعد هجرة هذا المفهوم (الشعرية) من التشكيل اللغوي إلى مختلف الفنون الإبداعية الأخرى ومنها الرواية ، القصة ، المسرحية ...إلخ .

ورغم كون حروف هذه اللفظة مألوفة ، إلا أن مدلولها تلفه سحابة سميكة من الغموض ، وربما يعود ذلك إلى جدة مفهوم (الشعرية) في الفكر النقدي ، وهذا البحث محاولة مزدوجة ، فهو يقوم بمحاولة تصور الشعرية من الوجهة النظرية من جهة ، ومن جهة أخرى وضع هذه النظرية موضع التطبيق على إحدى النصوص السردية.

ولقد ارتأيت أن تكون النصوص السردية المختارة لموضوع البحث للأديب " جبران خليل جبران " (1883م – 1931 م) ، هاته الشخصية الفريدة في الأدب العربي ، فهو من الشخصيات التي تتحد من يقترب منها أن يبتعد عن دراستها والدخول في أعماق أعماله الأدبية التي تحرر فيها من قيود اللغة والأدب لينشئ فنا جديدا من فنون الكتابة في الأدب العربي .

وللكشف عن شعرية النص القصصي ، أو بتعبير آخر الإجابة عن التساؤل الجوهري الذي لزم أذهان النقاد والدارسين ، ألا وهو : ما الذي يصنع من السرد القصصي أثرا فنيا ؟ ، أي بتعبير " جاكبسون " ما الذي يكسب هذه النصوص فرادتها الأدبية الجمالية ويصنع شعريتها ؟ .

هذا ما حاولت أن أكشف عنه النقاب من خلالي بحثي الموسوم بـ : (**شعرية السرد القصصي عند جبران خليل جبران – نماذج تطبيقية–**) ، واتخذت توضيحا لذلك مدونتي " الأجنحة المتكسرة " الصادرة سنة (1912 م) و" الأرواح المتمردة " ، الصادرة سنة (1908

م) ، فكانتا بحق مجالا خصبا للشعرية ، خاصة أن أغلب النقاد الذين تعرضوا لأعمال " جبران " القصصية بالدراسة ، اتفقوا على وسمها بالطابع الغنائي (الذاتي) . والسمة الشعرية تكاد تكون أبرز سمات السرد القصصي الجبراني ، بل وبصورة عامة مختلف أعماله الأدبية .

" الأجنحة المتكسرة " و" الأرواح المتمردة " نصان سرديان بلغ فيهما التفاعل بين الشعر والسرد قمته ، فكان ذلك المزج الرائع بين روح الشعر وبين البناء القصصي . فكيف تجلت مظاهر الشعرية فيهما ؟ ، وكيف تبنى العلاقة الجدلية بين الشعري والسردي ؟ ، رغم أن لكل جنس خصائصه الفنية ومقوماته .

ولمعالجة هذه الإشكاليات قسمت البحث إلى ثلاثة فصول ، فصل تمهيدي حاولت أن ألج من خلاله إلى ضبط لغوي ومصطلحي للشعرية وعلاقتها بالعلوم اللغوية الأخرى مرورا بالحديث عن تداخل الأجناس وشعرية القص ، وعن قلم جبران بشي من الإيجاز. أما الفصل الأول فسوف يكون بمثابة عتبة تنظيرية أرصد من خلالها معالم النظرية النقدية الشعرية كما يراها روادها القدامى والمحدثين الذين اهتموا بالشعرية كعلم يرتقي بالأدب إلى أعلى مصافي التأثير ، سواء عند العرب أو عند الغرب . وفي الفصل الثاني أردتها إطلالة على الإنسان المبدع " جبران خليل جبران " من خلال حياته والمكانة التي تربع على عرشها في البلاد العربية وفي البلدان الغربية . أما الفصل الثالث ، فانتقلت فيه من الجانب النظري إلى الجانب التطبيقي ، " الأجنحة المتكسرة " و" الأرواح المتمردة " كأنموذجين للتطبيق عليهما . وتناولت في هذا الفصل أولا مضمون المدونة الجبرانية ، وثانيا مظاهر الشعرية وتجلياتها في سرد جبران القصصي ، هذه المظاهر التي تشكل بؤرة الشعرية في المدونتين من خلال شعرية اللغة ، شعرية الإيقاع ، شعرية التناص ، السرد الذاتي واستخدام عناصر السيرة الذاتية وشعرية الإيحاء والتصوير، وذلك ما اجتهدت في تبينه والإشارة إليه والتدليل عليه .

وللوصول إلى هذا المبتغى استعنت في دراستي بالمنهج التاريخي في تتبع بعض محطات جبران الحياتية والإبداعية الأدبية ، وكذا بعض محطات الشعرية ، وبالمنهج الوصفي الذي وظفته في وصف ما هو نظري باعتماد التحليل إجراءا لذلك في ذكر نماذج رسمها " جبران " في قصصه ، جسدت لنا مظاهر الشعرية وبينت لنا مكامن الغنائية فيها .

ولجمع مادة هذا الموضوع اعتمدت على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران ، لجميل جبر، والأعمال الكاملة لمؤلفات جبران ، الأجنحة المتكسرة ، تقديم كرم الدكروري ، وغيرها من المراجع التي استعنت بها في سبر أغوار شعرية السرد القصصي عند جبران .

وككل دراسة تعتريها الصعوبات والعراقيل ، فقد واجهت البعض منها ولعل أهمها قلة الدراسات التي تتناول شعرية السرد عند جبران ، فمعظم الدراسات تتناول فكره في أدبه أو الحديث عن بنية السرد عنده دون الولوج إلى شاعرية كتاباته ، إضافة إلى تداخل واختلاف وجهات النظر عند الباحثين حول الشعرية ، التي يشوبها الالتباس في دقة مفهومها .

ولتذليل هذه الصعوبات استعنت بآراء وتوجيهات أستاذي الفاضل **الدكتور** "**عبد الرحمان بن يطو** " الذي أتقدم إليه بعميق شكري وامتناني على حسن توجيهاته ، وأوجه شكري أيضا إلى كل من أمدني بيد العون من قريب أو بعيد دون استثناء .

فصـــل تمهيـــدي

1- الدلالة اللغوية والإصطلاحية للشعرية .

2- علاقة الشعرية بالعلوم اللغوية الأخرى .

3- تداخل الأجناس الأدبية وشعرية القص .

1- الدلالة اللغوية والاصطلاحية للشعرية

1-1- الدلالة اللغوية :

لكي يستعمل هذا المصطلح العلمي استعمالا صحيحا وجب علينا تحديد مفهوم الشعرية ، الذي يشكل جزءا كبيرا من هذا البحث . والدلالة المعجمية هي أولى الخطوات التي نقوم بها لمعرفة مفهوم هذا المصطلح وإذا عدنا بهذا المصطلح إلى أصله اللغوي وجدناه يعود إلى الجذر الثلاثي " شعر" وسنحاول تتبع المعاني التي يحملها من خلال المعاجم القديمة.

ورد في مقاييس اللغة أن « الشين والعين والراء أصلان معروفان يدل أحدهما على ثبات والآخر على علم وعلم...شعرت بالشيء ، إذا علمته وفطنت له...»[1] .

وقال الأزهري : « الشعر القريض المحدود بعلامات لا يجاوزها ، والجمع أشعار وقائله شاعر لأنه يشعر بما لا يشعر غيره أي يعلم...وسمي شاعرا لفطنته »[2] .

ولم يبتعد لسان العرب عن هذه المعاني إذا نجد فيه « شعر : بمعنى علم...وليت شعري أي ليت علمي والشعر منظور القول ، غلب عليه لشرفه بالوزن والقافية وقائله شاعر ، لأنه يشعر ما لا يشعر غيره »[3].

من خلال هذه المعاني الواردة في هذه المعاجم العربية نستنتج أن الأصل اللغوي للشعرية " شعر" الذي يوحي بالمعاني التالية :

- الدلالة على العلم والفطنة .
- إن لكل شعرية معالم وضوابط محددة تستند عليها .

1-2- الدلالة الاصطلاحية:

شهد هذا المصطلح خلافات عديدة بين النقاد ، لهذا فنحن كمال قال حسن ناظم : « يبدو أننا نواجه . من جهة أولى . مفهوما واحدا بمصطلحات مختلفة ، ويبدو بارزا

---

[1]- ابن فارس ، مقاييس اللغة ، مادة (شعر) ، ج3 ، دار الفكر، دمشق ، (د ط) ، 1979 ، ص 209.

[2]- الزمخشري ، أساس اليلاغة ، مادة "شعر" ، دار صادر ، بيروت ، ط1 ، 1979 ، ص 331.

[3]- ابن منظور ، لسان العرب ، مادة شعر ، فصل الشين ، دار صادر ، بيروت ، ط1 ، 1992 ، ص 409.

هذا الأمر في تراثنا النقدي العربي ونواجه مفاهيم مختلفة ، بمصطلح واحد من جهة ثانية ، ويظهر هذا الأمر في التراث النقدي الغربي أكثر جلاء »[1] ، انطلاقا من ذلك يمكن القول أن « الشعرية ليست تاريخ الشعر ولا تاريخ الشعراء...إن الشعرية في ذاتها هي ما يجعل الشعر شعرا وما يسبغ على حيز الشعر صفة الشعر ولعلها جوهره المطلق»[2].

فمن النقاد من ضيق موضوع الشعرية قصره في الشعر وحده من خلال اعتبارها « الاستعداد الطبيعي لقول الشعر ، وهي تتصل بعدة أمور أهمها الطبع المتدفق المستعد للإبداع الشعري...»[3].

وهذا المفهوم للشعرية نجده متجسدا في التراث العربي القديم كون الشعر هو الإبداع الأدبي السائد في تلك الحقبة وسنفصل القول في ذلك في العناصر اللاحقة من البحث .

في الوقت نفسه نجد أن من النقاد من يوسع من موضوع الشعرية لشمل كل أنواع الخطاب الأدبي فمن حيث اهتمامها بالعناصر الجمالية تتعدى الشعر إلى مختلف الفنون الأدبية ومن إلى كافة فروع الفن الأخرى كالرسم والموسيقى والسينما حتى أنها تطلق أحيانا في وصف منظر طبيعي فنقول "منظر شاعري" أو "الجو جميل وشاعري" .

وهناك من النقاد من استبدل مصطلح " الشعرية " "بشاعرية " ومنهم عبد الله الغذامي حيث يقول : « بدلا من أن نقول (شعرية) مما قد يتوجه بحركة زئبقية نافذة نحو (الشعر) ولا نستطيع كبح جماح هذه الحركة لصعوبة مطاردتها في مشارب الذهن فبدلا من هذه الملابسة ، نأخذ بكلمة " الشاعرية "... في النثر وفي الشعر...»[4]، فقد اتخذ الغذامي هذا المصطلح " الشاعرية " ، كبديل عن الشعرية حتى يوسع من دائرة المصطلح وينفي تضييقه في جانب الشعر ، أما سعيد علوش فنجده يحصر مصطلح (الشاعرية) في الفن الأدبي فهي « درس يتكفل باكتشاف الملكة الفردية ، التي تصنع فردية الحدث الأدبي : أي الأدبية »[1].

---

(1)- حسن ناظم ، مفاهيم الشعرية ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ،ط1 ، 1994 ، ص 11.

(2)- مرشد الزبيدي ، اتجاهات نقد الشعر في العراق ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 1999 ، ص 104.

(3)- محمد مهدي الشريف ، معجم مصطلحات علم الشعر العربي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 204 ، ص 85.

(4)- عبد الله محمد الغذامي ، الخطيئة والتكفير ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط4 ، 1998 ، ص 21-22.

ومما يصعب حدة الاختلاف حين أن بعضنا من النقاد يتبنى مصطلحات متعددة لهذا المفهوم ، فنجدهم يوظفون مصطلحين أو أكثر في مؤلف واحد ، فعبد السلام المسدي مثلا يعبر عن الشعرية بمصطلح " الإنشائية " نجده يعود إلى توظيف المصطلح الأصلي " الشعرية " .

أما "حسن ناظم " فقد وضع في كتابه " مفاهيم الشعرية " مخططا توضيحيا [2] يسمح بالنظرة الشاملة التي تلقي الضوء على مدى اختلاف الترجمة والتعريب لمصطلح (poetics) :

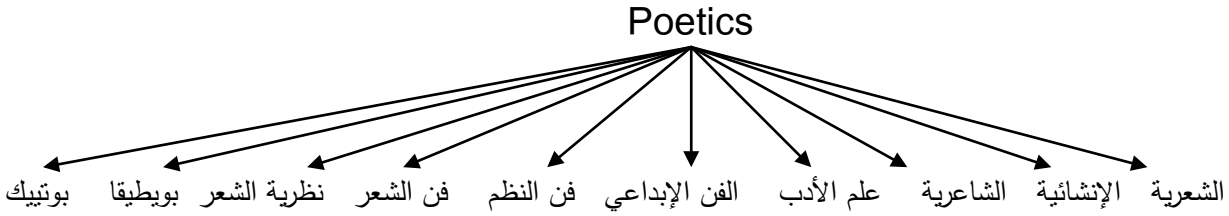

لكن يبقى مصطلح " الشعرية " أكثر المصطلحات التي أثبتت صلاحيتها في كثير من كتب النقد ، فضلا عن الكتب الترجمة إلى العربية ، وبهذا ترسيخ لقضية توحيد المصطلح ، فاهتم الدرس النقدي بالاصطلاح عليه في محاولة منه لإقامة علم للأدب تام غير ناقص ولا مخلخل* .

2- علاقة الشعرية بالعلوم اللغوية الأخرى

2-1- علاقة الشعرية باللسانيات :

---

(1)- سعيد علوش ، معجم المصطلحات العربية المعاصرة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط1 ، 1985 ، ص 127.

(2)- حسن ناظم ، مفاهيم الشعرية ، ص 18.

* ينظر :أيمن اللبيدي ، في الشعرية والشاعرية ، ج 1 ، " ناشري ، أوت 2003 ، www.nashiri.net.

شهدت العلوم اللغوية في أواخر القرن التاسع عشر تطورا كبيرا ، نتيجة تطبيق المناهج العلمية أسوة بالعلوم الأخرى ، فتنبه " فرديناند دوسوسير " إلى ذلك التهميش الذي تعانيه اللغة نتيجة اعتبارها مجرد وسيلة لدراسة بقية المعارف ، ومن ثم قرر دراسة اللغة بذاتها ولذاتها دراسة علمية ، فوضع بذلك أسسا لعلم جديد يسمى " اللسانيات " يهتم بكل ما له علاقة باللغة ومنها وظائفها ، وهذه النقطة التي تلتقي فيها الشعرية باللسانيات ولهذا فقد « ألح جاكبسون على ضرورة ارتباط الشعرية باللسانيات ذلك لأن مجال دراسة اللساني هو الأشكال اللغوية كافة ، وما دام الشعر نوعا من اللغة ، فلا مناص للساني من دراسة الشعر طبقا لمنهجية اللسانيات »[1] ، فجاكبسون يعتبر الشعرية جزء من اللسانيات التي تدرس كافة أشكال اللغة ، فهي فرع من اللسانيات ويمكن اعتبار الشعرية جزءا لا يتجزأ منها.

2-2- علاقة الشعرية بالأسلوبية :

إن الرابط الأساسي بين الأسلوبية والشعرية هو البحث عن العناصر الجمالية الفنية المميزة للخطاب الأدبي عن غيره من أنواع الخطاب باعتبار« الأسلوبية هي بحث عما يتميز به الكلام الفني عن بقية مستويات الخطاب أولا وعن سائر أصناف الفنون ثانيا»[2] .

لكن الذي يهمنا في هذه المسألة هو علاقة الشعرية بالأسلوبية ، فيذهب عبد السلام المسدي إلى أن « هذا المخاض الذي عرفته دراسة الأسلوب ... هو الذي فجر بعض مسالك البحث الحديث وأخصب بعضها الآخر ، فأما الذي تفجر فهو " البويتيقيا " الجديدة والتي تضيق رؤاها حينا فتصلح لها عبارة " الشعرية " وتتسع مجالا واستيعابا أحيانا أخرى . فتحسن

ترجمتها بمصطلح " الإنشائية " »[1]، فالمسدي هنا يجعل الشعرية قد نشأت بسبب الأسلوبية وبالتالي يمكن أن نعتبر الشعرية فرعا من الأسلوبية في نظره ، لكن هناك من يعارض هذا الرأي ويقلب النظرية من خلال اعتبار الأسلوبية فرع من الشعرية ، فالغذامي يرى أن «

---

(1)- حسن ناظم ، مفاهيم الشعرية ، ص 70 .

(2)- عبد السلام المسدي ، الأسلوبية والأسلوب ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، ط 3 (د ت) ، ص 37 .

الشاعرية (الشعرية) تحتوي الأسلوبية وتتجاوزها ، فالأسلوبية هي إحدى مجالات الشاعرية ... ولعل أخطر الجوانب التي تضر بالتناول الأسلوبي الصرف هي اقتصارها على دراسة (الشفرة) دون (السياق) وهذا يفرض الحاجة إلى الشاعرية التي تسعى إلى دراسة (الشفرة) لا لذاتها ولكن لتأسيس السياق منها كوجود قائم »[2] ، تظهر شمولية الشعرية في هذا القول من خلال الجمع في الاهتمام بالشفرة والسياق على حد سواء ، أي البحث عن كل ما يساهم في خلق الجمالية داخل الخطاب الأدبي دون الاقتصار فقط على خصائص اللغة .

2-3- علاقة الشعرية بالسيميائية :

إن السيمياء عموما تبحث في أنظمة العلامات ومن بين هذه الأنظمة نجد النظام اللغوي ، والشعرية تدرس الجانب الجمالي في هذا النظام لهذا كانت « الشعرية إحدى الأهداف التي سعت إليها السيميائيات في إطار طموحها إلى أن تكون العلم الشامل الجديد الذي يتسلط على سائر العلوم ، لكن الشعرية حاولت المقاومة والتأبي في وجه السيمائية »[3] في حين هناك من يحاول الفصل بينهما على اعتبار علاقة التأثير والتأثر المتبادل بينهما.

انطلاقا من كل ما ذكرناه يتبين لنا مدى ارتباط الشعرية بكافة علوم اللغة ، كما أفادت أيضا من العلوم الأخرى المجاورة لها كعلم النفس وعلم الاجتماع ...

3- تداخل الأجناس وشعرية القص

ظل الشعر يتربع على عرش الأدب زمنا طويلا ، وكان النقد العربي إزاء ذلك صارما في التمييز بين الشعر والنثر ، يرجح كفة الأول على الثاني .. رغم وجود بعض الإشارات لتوظيف بعض الشعراء للحكي والقصة ، كما في أشعار امرئ القيس وعمر بن أبي

(1)- المرجع السابق ، ص 25 .

(2)- عبد الله محمد الغذامي ، الخطئية والتكفير ، ص 24 .

(3)- فيصل الأحمر ، معجم السيميائيات ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط1 ، 2010 ، ص 301 .

ربيعة وغيرهم ، لكن قلما وقف النقد القديم عند حضور الكتابة الشعرية في النثر إذا ما استثنينا ما كتب عن الإعجاز القرآني[1] .

وفي العصر الحديث ظهرت أجناس أدبية زاحمت الشعر في ريادته .. بل تمكنت الرواية والقصة من التسلل إلى اهتمامات القارئ العربي الحديث .. وأضحت تسحب البساط من تحت أقدام عرش الشعر.. بل يمكن القول أن الشعر لما شعر بالبساط يسحب من تحت أقدامه تدفق على باقي الأجناس الأخرى ، معلنا تحطيم الحدود الصارمة بينه وبين الأشكال الشعرية النثرية الأخرى .. فتسللت الشعرية إلى مختلف أنواع الكتابة ، وأصبح بالإمكان الحديث عن شعرية القصة ، شعرية الرواية ، شعرية المسرح ، شعرية النقد ... ، وأصبح ينظر إلى الشعر (إلا باعتباره تنويعا تزينيا للنثر) في نظر رولان بارث [2] . فتداخلت الأجناس الأدبية وتمازجت مع بعضها البعض ، ولعل الرواية هي الجنس الأكثر استقطابا للأجناس الأدبية الأخرى ، هذا ما يؤكده الدكتور بوشوشة بوجمعة* في حوار أجراه معه كمال الريحاني إذ يقول : « الرواية نوع أدبي منفتح بامتياز على مختلف تشكلات الفعل الإبداعي مما يشكل عنصر إثراء للرواية ، وتنوع لآليات إنجازها ففي زمن تداعت فيه الحدود بين الأجناس الأدبية ، ومن ثم أصبح يتعذر الحديث عن صفاء هذا الجنس الأدبي أو ذاك ، فكل الأنواع الأدبية تتجاور لتتحاور قبل أن تنتهي إلى التلاقح مع بعضها البعض ، وهو ما يسمح لها بإغناء مكوناتها وتجديد طرائق تعبيرها وتشكيل رؤاها ومواقفها

وتبادل التأثر والتأثير مع الأجناس الأخرى »[1] ، فتداخل الرواية مع الأجناس الأخرى أمر طبيعي ومحتوم لأن القوقعة وعدم الانفتاح لا يخدمها أبدا ، ونقاء الجنس الأدبي مقولة نقدية تجاوزها الزمن ، وهذا ما يؤكده " رشيد يحياوي " في كتابه " نظرية الأنواع الأدبية " ، حيث يقول : « أصبحت مقولة تبادل الأنواع وكذلك مقولة نقائها من المتجاوزات حاليا ، بعد أن

---

[1]- ينظر :الكبير الداديسي ، شعرية الرواية في (القوس والفراشة) لمحمد الأشعري ، نشر في : 2014/07/23 ، موقع الإنترنت الحوار المتمدن m.ahewar.org .

[2]- ينظر ، نفسه .

* كاتب وناقد تونسي ، أستاذ محاضر حاليا – معهد بورقيبة بتونس – اللغات الحية .

أثبتت الدراسات الحديثة بطلانها »[2] ، ولهذا فالأجناس الأدبية تتعالق مع بعضها حتى أصبح النص الأدبي "مهرجان أجناس" [3] ، كما يقال .

وفق هذا المفهوم لم يبق تداخل الأجناس مجرد منظورات نقدية فحسب ، بل أن بعض المبدعين آمنوا بأن التطعيم الجناسي أمر ضروري ، وعليه جاءت كتاباتهم السردية تعبيرا عن هذا الموقف . ويعد " جبران خليل جبران " وغيره ، ممن تلونت إبداعاتهم بهذا التداخل الجناسي . بل أن « منظري الأدب يكاد يجمعون على أن الأنواع الأدبية ليست ثابتة الأركان ، ولا مطلقة الوجود ، بل كيانات متحركة متحولة أبدا ، بما يجعل من انقراض أنواع وتوالد أخرى جديدة وتحولها أمرا طبيعيا ، بل يكاد يمثل قانون وجود هذه الأنواع ذاتها ، من حيث أن الفن بطبيعته تجاوز دائم بصفته إبداعا وخلقا متجددا »[4].

إذن فشعرية القص باتت أمرا لا خلاف عليه باعتمادها واستعانتها بآليات شعرية كاللغة الإبداعية والتناص والإيقاع وغيرها من التقنيات التي تعتمد على المرجعية الثقافية والقدرة الفنية الإبداعية لكل كاتب ، وتعتمد كذلك على قدرة الكاتب التخيلية والتصويرية .

---

[1]- كمال الريحاني ، حوارات ثقافية في الرواية والنقد والقصة والفلسفة، حوار مع بوشوشة بوجمعة ، مجلة عمان ، مطابع الصحفية الأردنية ، العدد 97 ، 2003 ، ص 253 .

[2]- رشيد يحياوي ، نظرية الأنواع الأدبية ، إفريقيا للشرق ، الدار البيضاء ، ط2 ، 1994 ، ص 104 .

[3] - كمال الريحاني ، حوارات ثقافية في الرواية والنقد والقصة والفلسفة ، المرجع السابق ، ص 32 .

[4]- صلاح السروي ، تداخل النصوص والأنواع الأدبية " مجموعة أبحاث وشهادات ، بعنوان الأنواع الأدبية العابرة للنوع ، جامعة الزقازيق ، مصر ، مارس 2009 ، ص 41.

الفصل الأول

الشعرية عند العرب وعند الغرب

1- **الشعرية عند العرب** .

1-1- **الشعرية عند العرب القدامى** .

1-2- **الشعرية عند العرب المحدثين** .

2- **الشعرية عند الغرب** .

1-2- **الشعرية عند الغرب القدامى**

2-2- **الشعرية عند الغرب المحدثين** .

1- الشعرية عند العرب

نظرا للطبيعة الزئبقية لهذا المصطلح واختلاف تعريفه فإنه يصعب تحديد مفهوم دقيق له ، « ويبقى البحث في الشعرية محاولة فحسب للعثور على بنية مفهومية هاربة دائما وأبدا... سيبقى دائما مجالا لتصورات ونظريات مختلفة »[1] ولهذا سنحاول البحث في جذور هذا المصطلح وستكون البداية عند العرب .

1-1- الشعرية عند العرب القدامى

انحصرت الشعرية في النقد العربي القديم في مجال الشعر ، كونه المظهر السائد من مظاهر الإبداع الأدبي في تلك الحقبة ، فقد شغل مكانة مرموقة في نفس العربي فهو مبلغ حكمتهم والحفاظ لتاريخهم وأنسابهم ، وهو ما أشار إليه جمال الدين بن الشيخ حين قال : «...لا لأن الشعر كان النتاج الوحيد لهذه الثقافة ، ولكنها تعني أن الشعر كان نتاجها الأول ، وأنه كان التعبير الأكثر دلالة...والأكثر تمثيلا لأصالة عبقريتها »[2].

والنقد الذي صاحب هذا النوع من الشعر تميز باعتماده على الذوق الشعري والمفاضلة بين الشعراء على نحو ما كان عند النابغة وغيره من الشعراء ، فلم يخل الشعر الجاهلي من معايير وقواعد تضبطه فقد التزم الشاعر بتلك الخطوط العريضة في بناء القصيدة ، إلا أن هذا النظر النقدي في هذه المرحلة كان قليلا وبسيطا ، والملاحظة أيضا أن « النقاد يحكمون الذوق في أحكامهم ، وعجزوا عن تحديد خصائص الجودة أو تعليلها بالوقوف على السمات التي تميز شاعرا عن آخر، وأن مقاييسهم في المفاضلة غالبا ما تكون خارج نصية مما لا يساعد على تحديد مفهوم الشعرية عندهم ، بل لا نجد في نقدهم أية إشارة إلى العناصر الأساسية التي يبنى عليها الشعر كالموسيقى والصور البيانية واللغة»[1].

---

[1]- حسن ناظم ، مفاهيم الشعرية ، ص 10 .

[2]- - جمال الدين بن الشيخ ، الشعرية العربية ، ترمبارك حنون ومحمد الولي ومحمد أوراغ ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء المغرب ، ط1 ، 1996 ، ص 5.

ومع مجيء الإسلام انبهر العرب بهذا النص القرآني الذي تحداهم في لغتهم . فنجم عن ذلك انبثاق الدراسات اللغوية التي جعلت القرآن محورا لها .

وفي القرن الثاني للهجرة يطالعنا مصطلح نابع من البيئة المحلية لتعبر عن الشعرية التي تجعل من الشعر شعرا وتعبر عن جودة الشعر ، هو (المحولة) ، الذي تناوله كل من "**الأصمعي**" **وابن سلام الجمحي** " وهي تكاد تقتصر عند الأصمعي على الجانب اللغوي فقط، كما يحصرها على الشعراء الجاهلين والمخضرمين فحسب ، بعكس "**ابن سلام الجمحي**" في كتابه "**طبقات فحول الشعراء**" الذي امتد بهذا المصطلح ليشمل شعراء بني أمية ، كما عمد إلى وضع معايير وأسس وقواعد للشعر الذي يعتبره صناعة فهو يرى أن « للشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم ، كسائر أضاف العلم والصناعات منها ما تثقفه العين ، ومنها ما تثقفه الأذن...»[2] ويظهر قرب مصطلح الصناعة من مصطلح الشعرية من حيث المفهوم والذي يعني قواعد ومعايير بناء الإبداع الأدبي , فاشعر باعتباره صناعة يحتاج إلى دقة وإتقان وكذا لا بد من الخبرة والمهارة حتى يخرج منتوجه في أحسن صورة.

ويعد كتاب (نقد الشعر) لـ " **قدامة بن جعفر**" ، فيما يرى " **طراد الكبيسي**" [3] ، من الكتب الأولى التي تؤسس – إضافة إلى كتب أخرى– لما يمكن أن نسميه كتبا في (الشعرية العربية) .

فعلا يمكن اعتبار" **قدامة بن جعفر**" من أوائل النقاد العرب القدامى الذين أسسوا جمالية عامة للشعر ، ولذلك يمكننا القول أنه « من قبيل الصدفة أن يسجل " **قدامة بن جعفر**" المعايير ضمن جمالية عامة للشعر ، ويعتبر... منظرها الأول ، وهو في الحقيقة أول من طرح (علم الجيد والرديء) كموضوع للتحليل »[1].

---

[1]– حسين مزدور ، الشعرية العربية في التراث النقدي ، مجلة الموقف الأدبي ، منشورات اتحاد كتاب العرب ، دمشق سوريا أكتوبر 2004 ، من موقع الأنترنت www.awu-dam.org

[2]– ابن سلام الجمحي ، طبقات نحو الشعراء ، تحقيق : محمد محمود شاكر ، مطبعة المدني ، مصر ، ج1 ، ص 5.

[3]– طراد الكبيسي ، في الشعرية العربية ، قراءة جديدة في نظرية قديمة ، منشورات اتحاد الكتاب العرب 2004 ، من موقع الأنترنت www.awo-dam.org

حيث يتفق القدماء والمحدثون على أن أركان الشعر أربعة : قول (لفظ) ووزن وقافية ، ومعنى . وبعضهم ينقص منها (الوزن) أو (القافية) أو كلاهما معا ولكن لا أحد زاد عليها شيئا . وهو ما ذهب إليه **قدامة بن جعفر** في تعريفه للشعر. [1]

ومن الكتب المؤسسة للشعرية العربية عند القدامى أيضا كتابا(دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة) لـ : "عبد القاهر الجرجاني" في القرن الخامس للهجرة وإن كانا في ظاهرهما يتناولان قضية الإعجاز القرآني ، فلقد كان القرآن الكريم الدافع الذي جعل العلماء يبحثون ويؤلفون الكتب حول سر إعجاز القرآن أهو في اللفظ أم في المعنى ، إلا أنهما يغوصان في التنظير لأدبية الكلام الفني أيضا فجمع في نظريته في النظم بين الرأيين وانتهى إلى أن سر الإعجاز كامن في النظم أي في علاقة اللفظ بالمعنى وكان لهذه النظرية تأثير كبير في علوم اللغة فقد ورد عن الجرجاني :« أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه – علم النحو – وتعمل على قوانينه وأصوله ، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها ، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك ، فلا تخل بشيء منها »[(2)].

فالجرجاني لم ير النظم في الألفاظ لوحدها ولا في الصور لوحدها ولا في الإيقاع لوحده بل في التزاوج بين هذه العناصر . إذ يقول الجرجاني :«واعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك علمت علما لا يعترضه الشك ، أن لا نظم في الكلم ولا ترتيب ، حتى يعلق بعضها ببعض ، ويبنى بعضها على بعض ، وتجعل هذه بسبب من تلك»[(3)].

وفي هذا تركيز على مراعاة العلاقات بين اللفظة وجارتها داخل كل تركيب ، فاللفظة لا يفهم معناها إلا من خلال التركيب الذي وردت فيه ، كما أن معناها يختلف باختلاف السياق الذي وجدت فيه . هذا وقد أشار الجرجاني إلى الفرق بين الاستعمال الوظيفي النفعي للغة وبين الاستعمال الفني لهذه اللغة وقد سمي ذلك (معنى المعنى) ، فاللغة التواصلية يفهم

[(1)]- جمال الدين بن الشيخ ، الشعرية العربية ، ص 24.

[(2)]- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، تعليق : محمد محمود شاكر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط5 ، 204 ، ص 81.

[(3)]- نفسه ، ص 55.

معناها مباشرة دون إمعان فكر ، أما اللغة الفنية الإبداعية فتطلب التأويل والبحث عن المعنى الخفي [1]. وما يمكن قوله من خلال ما تم عرضه أن الشعرية لم تتبلور كنظرية أدبية ونقدية إلا في العصر الحديث – كما سنرى لاحقا – إلا أن لهما تاريخا موغلا في القدم من خلال العديد من الجهود التي طالت ميدان الأدب .

1-2- الشعرية عند العرب المحدثين

في أواخر القرن التاسع عشر انبهر الأدباء بالمناهج العلمية التي شهدتها مختلف العلوم والتخصصات فحاولوا تطبيقها في ميدان الأدب فنتج عنها نظريات وعلوم جديدة كاللسانيات...فتأثرت الشعرية الغربية بهذا العلم وانعكس ذلك على الشعرية العربية ، فظهرت العديد من المؤلفات التي حاول من خلالها النقاد تحديد مفهوم الشعرية وقوانينها ومختلف المراحل التي مرت بها .

وقد شهد ترجمة مصطلح الشعرية إلى العربية عدة إشكالات من ذلك تسمية المصطلح بـ (الإنشائية) أو (الأدبية) والبعض الآخر سماه (الشعرية) وهناك من أطلق عليه مصطلح (الشاعرية) ، إضافة إلى (البويطيقا) و (علم الأدب)... ، ومرد اختلاف اللغويين العرب في النقل والتعريب ، المنطلقات الفلسفية والمدارس التي ينتمي إليها كل باحث. وقد حاول الكثير من النقاد والدارسين إعطاء مفهوم خاص لها من بينهم :

* **كمال أبو ديب** : يعد رائد في هذا المجال ، يرى في مؤلفه (في الشعرية) أن الشعرية « خصيصة علائقية ، أي أنها تجسد في النص لشبكة من العلاقات التي تنمو بين مكونات أولية سمتها الأساسية ، أن كلا منها يمنك أن يقع في سياق آخر دون أن يكون شعريا ، لكنه في السياق الذي تنشأ فيه هذه العلاقات وفي حركته المتواشجة مع مكونات أخرى لها السمة الأساسية ذاتها ، يتحول إلى فاعلية خلق للشعرية ومؤشر على وجودها»[1] ، فكمال أبو ديب يركز على هذا العمل وهي تكمن في النص باعتباره وحدة متجانسة مكونة من

[1]- ينظر: عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، المرجع السابق .

مجموعة أجزاء مترابطة فيما بينها تساهم كلها في إنتاج صفة الشعرية وهو يبني تصوره للشعرية على أساس وظيفة إيجابية أسماها بـ " الفجوة : مسافة التوتر" والفجوة هي الغياب الذي يخلقه النص الشعري بعيدا عن المرجع الإنساني لرؤية الأشياء ، أما مسافة التوتر فهي فاصل النشوة الذي يثيره انحراف اللغة عن حقيقتها الإخبارية وتحولها لكائن في متألق وعلى هذا الأساس يقول :« ما ينتج الشعرية هو الخروج بالكلمات عن طبيعتها الراسخة إلى طبيعة جديدة ، وهذا الخروج هو خلق أسميته الفجوة أو مسافة التوتر وخلق المسافة بين اللغة المترسبة واللغة المتبكرة »[2]. فهو يرى أن الشعرية تتحقق من خلال الخروج باللغة من مستواها العام التواصلي إلى مستواها الجمالي الفني سواء كان شعرا أم نثرا.

* **أدونيس** : يعد من أبرز النقاد العرب الذين اهتموا بموضوع الشعرية وخصصوا العديد من مؤلفاتهم للخوض في هذا الموضوع ، وقد تجلى ذلك في كتابه " الشعرية العربية". ولقد حاول أدونيس الوصول إلى الجذرية الشعرية عند العرب ، من خلال ربط هذا المصطلح بالفضاء القرآني حيث يقول : « إن جذور الحداثة الشعرية العربية بخاصة والحداثة الكتابية العامة ، كامنة في النص القرآني من حيث أن الشعرية الشفوية الجاهلية تمثل القد الشعري ، وأن الدراسات القرآنية وضعت أسسا نقدية جديدة لدراسة النص ، بل ابتكرت عملها للجمال جديدا ممهدة بذلك لنشوة شعرية عربية جديدة »[3]. [1]

فنجده تطرق لعلاقة الشعرية بالنص القرآني مركزا على الأفق الذي فتحته بنية هذا النص المعجز الكتابية أمام الشعرية العربية فبه تأسست النقلة من الشفوية إلى الكتابة ، كما دفع هذا النص القرآني إلى تأليف العديد من كتب الدراسات حول مصدر الإعجاز فيه وقد أفاد علم اللغة والأدب كثيرا كتلك الدراسات التي حاولت المقارنة بين النص القرآني والنص الشعري ، وكذا التي بحثت في مصدر هذا النص (اللفظ أو المعنى)...ليخلص أدونيس إلى

---

[1]- كمال أبو ديب ، في الشعرية ، مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت ، ط1 ،1991 ، ص 14.

[2]- نفسه ، ص38.

[3]- علي أحمد سعيد أدونيس ، الشعرية العربية ، دار الآداب ، بيروت ، ط2 ، 1989 ، ص 57.

أن جذور الحداثة الشعرية العربية بخاصة والحداثة الكتابية بعامة النص ممهدة بذلك إلى شعرية عربية جديدة . [1]

وقد تطرق أيضا إلى موضوع الشعرية في مؤلفاته الأخرى ، وهي عنده شعريات وليست واحدة شعرية الحضور ، شعرية القراءة ، شعرية الهوية ، شعرية التجديد...شعرية الحسد ، شعرية العنف ، شعرية الرسالة ، شعرية الرفض [(1)] .

ونظرة أدونيس للشعرية منحصرة في غرض الشعر ، كما أنه لا يتطرق في كتابه الشعرية للبحث في ماهية هذا المصطلح أو موضوعه وإنما تتبع فقط للحركة الشعرية والإبدالات النصية التي ميزتها.

كما أن هناك العديد من الكتابات في النقد الحديث التي عنيت بمفهوم الشعرية نذكر منها كتاب "جمال الدين بن الشيخ "الشعرية العربية" الذي خصصه لدراسة الشعرية في العصر العباسي وقدم من خلاله إحصاءات دقيقة لمختلف المستويات الفنية في بناء القصيدة أفاد منها الكثير من النقاد بعده.

2- الشعرية عند الغرب

2-1- الشعرية عند الغرب القدامى

لا خلاف بين النقاد الغربيين حول هذا المصطلح من الناحية الشكلية ، فقط اختلاف بسيط بين الفرنسيين (poétique) وعند الإنجليز (poétics) ، فقد كان **أرسطو**(ق4 قبل الميلاد) هو أول من استخدم هذا المصطلح ليعنون به كتابه الشهير" **فن الشعر**" ، وتعود

[(1)]- ينظر : علي أحمد سعيد أدونيس ، الشعرية العربية ، المرجع السابق .

الملامح الأولى لهذا المصطلح إلى الحضارة اليونانية ، وتعد المحاكاة هي السبب الأول الذي يرجع إليه الشعر فقد ربط اليونان عملية الإبداع ككل والشعر بشكل خاص بالقدرة على المحاكاة والتقليد لما هو واقعي أو متخيل[1] ، هذا ويعد أفلاطون من الأوائل الذين اهتموا بمصطلح المحاكاة وربطه بالفنون الإبداعية ، فالمنتوج الإبداعي في نظر **أفلاطون** يبتعد بثلاث درجات عن الحقيقة الأصلية الموجودة أصلا في عالم المثل وهو في نظرته للمدينة الفاضلة استند إلى كل ما من شأنه أن يقيم حضارة على أسس متينة من جميع النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية وحتى الفنية منها فهو يدرك ما للفن من دور كبير في بناء قيم وشخصية الذي يعده لباء هذه الجمهورية لذا حاول قصر الشعري الجانب الموضوعي الذي يخدم مصالح الدولة من خلال تمجيد الأبطال والآلهة « لأن الشاعر الذي مهمته المتعة فحسب...ينقل الأمور المنفرة التافهة بمهارة...مما يؤدي في نظره إلى إشارة العواطف »[1] ، هذه الأخيرة في نظره تسبب انهيار الحضارات.

أما كتاب "فن الشعر" لأرسطو فيعتبر أول كتاب في تاريخ الإنسانية يتكلم عن الأشكال الفنية والتي من بينها الشعر ، والمحاكاة هي المبدأ الأساسي الذي قام عليه هذا الكتاب : بيد أن نظرة أرسطو للأدب في اعتباره مجرد " محاكاة " لم تنل رضى بعض النقاد الذين انتقدوا هذه الفكرة واتهموه بالقصور وعدم صلاحيتها.

ذلك أن المحاكاة اقتصرت على جزء من الأدب مثله كل من " المسرح " و " الملحمة " وصرح " **تودروف** " « أن موضوع كتاب أرسطو في الشعرية هو التمثيل وليس الأدب ، ولهذا فهو ليس كتابا في نظرية الأدب »[1]. في حين يعتبر بعض النقاد كتاب أرسطو " فن الشعر" ذو أهمية كبيرة لا يمكن تجاوزها والدليل على صحة قولهم هو صلاحية هذا الكتاب حتى العصر الحالي ، غير أن رؤية أرسطو للمحاكاة والشعر تختلف عن رؤية أستاذه

---

[1]- ينظر: إحسان عباس ، فن الشعر ، دار صادر ، ط1 ، 1996.

[2]- نفسه ، ص- ص137، 138.

أفلاطون ، فدور الشعر في نظر أرسطو إيجابي في كل الأحوال ، « فهو يدافع عن الشعر القائم على المحاكاة حتى لا تتبقى العواطف المستثارة حبيسة في مكانها بل إن تفريغها يتم بمشاهدة المأساة ، وهذا هو التطهير الذي يزيح من نفوس المتفرجين عنصري الخوف والشفقة فتكون مهمة الشعر – في تأثيره عكس الذي وصفه أفلاطون »[2] ، فدور الشعر في نظر أرسطو هو التطهير (catharsis) انطلاقا من ذلك فقد مثل كتاب أرسطو " فن الشعر" نواة حقيقية للشعريات التي جاءت بعده .

2-2- الشعرية عند الغرب المحدثين

* **شعرية جون كوهين :** تقتصر الشعرية عنده على مجال الشعر ، لذا وصفت شعريته بأنها قريبة من الشعرية العربية خاصة القديمة يقول جون كوهين : «الشعرية علم موضوعه الشعر»[3]. لكنه في كتابه" النظرية الشعرية " فنجده يورد أيضا نظرة غيره للشعرية التي تتعدى الشعر إلى أنواع فنية أخرى ، فاتسعت الشعرية لتشمل كل أصناف الإبداع الأدبي من جهة والإبداع الفني ككل من جهة أخرى . ولقد أقام جون كوهن شعريته على مبدأ الانزياح اللغوي وهذا الأخير يعني الخروج عن المألوف ، وخرق القاعدة العادية ويقوم عنده على « ثلاثة مستويات كبرى المستوى التركيبي الصوتي والدلالي ، مع حرصه الشديد على تضافر المستويين الصوتي والدلالي في الحكم

على شعرية النصوص حيث لم يكن التميز بين الشعر والنثر إلا من خلال تضافر هذين المستويين »[1] ، فالشعر يقوم بالدرجة الأولى على مخالفة المألوف ومن هنا فالشعرية هي انحراف عن القواعد المعيارية المعمول بها في اللغة فتكتسب هذه اللغة سمات غير عادية تساهم تمييز الشعر عن النثر ، إذن فالشعرية من وجهة نظر "جون كوهين" تقتصر على الشعر بالدرجة الأولى وتقوم على مبدأ الانزياحات الأسلوبية .

---

[1]- حسن ناظم ، مفاهيم الشعرية ، ص23.

[2]- إحسان عباس ، فن الشعر ، ص 138.

[3]- جون كوهين ، النظرية الشعرية ، ترجمة : أحمد درويش ، دار غريب ، القاهرة ، ط4 ، 2000 ، ص29 .

* **شعرية تودوروف** : يعتبر " تودوروف " ولادة الشعرية بنيوية تدرس الخصائص العامة للأعمال الأدبية ، وتحطم مبدأ التقاطعية بين الشعر والنثر ، فالشعرية عنده تتسع لتشمل كليهما ، كون هذين النمطين يجمعهما رابط الأدبية ، يقول **تودوروف** : « ليس العمل الأدبي في حد ذاته هو موضوع الشعرية فما تستنطقه هو خصائص هذا الخطاب النوعي الذي هو الخطاب الأدبي...وبعبارة أخرى يعني بتلك الخصائص المجردة التي تصنع فرادة الحدث الأدبي ، أي الأدبية »[2] ، فالشعرية من نظرة لا تهتم بالأدب بقدر ما تهتم بتلك الخصائص التي تميزه عن كافة أنواع الإبداع الأخرى كما أن هذه الخصائص هي التي تضبط قيام كل عمل أدبي ومن ثم تكسبه صفة الأدبية ، ولقد تراوحت مجالات الشعرية عند **تودوروف** بين المجالين النظري والتطبيقي المتمثل في تحليل أساليب النصوص ومن ثم استخراج المعايير التي تضبط ولادة كل عمل أدبي ، فالنظرية الضمنية للأدب هي التي تنطلق من الأدب بحد ذاته بعيدا عن العوامل الخارجية المؤثرة فيها .

* **شعرية رومان جاكسبون** : يعد جاكسبون واحد من أعلام اللسانيات ولهذا فرؤيته للشعرية متأثرة بالمبادئ اللسانية ، ينطلق في تعريفه من سؤاله «إن موضوع الشعرية هوقبل كل شيء الإجابة عن السؤال التالي: ما الذي يجعل من رسالة لفظية أثرا فنيا ؟»[3] أي البحث في الميزات والخصائص التي يختص بها الخطاب الأدبي وتكسبه تلك الجمالية. وشعرية **جاكسبون** لا تقتصر على الشعر وحده وإنما تشمل كافة أنواع الخطاب اللغوية والأدبية لكنه مع ذلك يحرص على تضييق مجال الشعرية في دراسة الوظيفة الشعرية باعتبارها الوظيفة السائدة في الخطاب الأدبي مع وجود الوظائف الأخرى للغة ، فجاكسبون ينظر إلى الأدب

---

[1]- بشير تاوريريت ، رحيق الشعرية الحداثية ، مطبعة مزوار، الجزائر ، (د . ط) ، (د . ت) ص 71 .

[2]- تزفيطان تودوروف ، الشعرية ، تر : شكرى المبخوت ورجاء بن سلامة ، دار توبتال ، المغرب ، ط2 ، 1990 ، ص 23.

[3]- رومان جاكسبون ، قضايا الشعرية ، تر : محمد الولي ومبارك حنون ، دار توبتال ، المغرب ، ط1 ، 1988 ، ص 24 .

وصفه عملا لغويا بالدرجة الأولى واهتمامه الأكبر كان بالوظيفة الشعرية المميزة للخطاب الأدبي (الوظيفة المهنية) .

وتختلف درجة هذه الوظيفة من خطاب إلى آخر وتبلغ ذروتها في الخطاب الشعري الذي يعتبر الأكثر انحرافا عن معايير اللغة العادية وخلاصة القول أن مفهوم الشعرية تطور في النقد الغربي منذ ظهور الدراسات البنيوية، نظرا لتغيير المنطلقات والتصورات الذهنية حول مشكلة الإبداع في المؤلفات الأدبية كافة ، لذلك أصبحت الشعرية منهجا له أدواته ، وأساليبه الإجرائية ، انطلقت من فجوة البحث الضيق في بلاغة اللغة إلى آفاق أوسع تتعلق ببلاغة النص من حيث تركيبته الداخلية .

الفصل الثاني

جبران خليل جبران ومكانته الأدبية

1- **جبـران الإنسـان والمبـدع**

1-1- **جبـــران الإنســـان** .

1-2- **جبـــران المبـــدع**.

2- **مكانتـــه الأدبيـــة** .

2-1- **مكانته الأدبية عند العرب** .

2-2- **مكانته الأدبية عند الغرب** .

1- جبران الإنسان والمبدع

المجنون ، الثائر ، المتمرد والحكيم . جبران خليل جبران عبقري من بلادنا ، نشأ في ظلال الأزر وانطلق إلى العالم محملا بروحانية أرضه وأوجاع أهلها ، فحلمه إبداعه إلى عرس مجد لم يرتقه سوى قلائل من العباقرة ، فمن هو هذا المجنون الحكيم والمبدع الفذ ؟.

1-1- جبران الإنسان

هو جبران بن خليل بن مخائيل بن سعد ، كان في الشرق والغرب ثورة فكر وأسلوب واجتماع...« نابغة الكتاب المعاصرين في المهجر الأمريكي وأوسعهم خيالا»[1]، ولد في بشرى في شمال لبنان في السادس من كانون الثاني سنة 1833 م والده خليل المكلف بجباية الرسوم على الماشية ، أما أمه فهي "كاملة" ابنة "الخوري اسطفان رحمة" ، كانت ذات ثقافة محدودة ، غير أنها كانت تتحلى بإرادة وهمة قويتين ساعدتاها على تدبير شؤون المنزل[2] ، كما يقال عنها بأنها "تشيطة" حادة الذكاء ، وقبل زواجها من خليل كانت أرملة حنا عبد السلام رحة ، ومات عن ولد اسمه بطرس ولما عادت إلى أبويها تزوجها خليل فرزق منها جبران وأختاه سلطانة و مريانا .

كان لأم جبران تأثير بليغ في نشأته وتوجيهه في الحياة ، قال عنها في رسالة موجهة إلى مي في 1920 م « كانت محبوبة في محيطها ماعهدتها في أدنى درجاتها أقل من شقيقة ، ولا أعلى في درجاتها أقل من سيدة ، لقد أفهمتني ، وأنا بعد في الثالثة أن الرابطة بينا هي كما بين صديقين رابطة حب متبادل ، وأننا كائنان مستقلان جمعتهما يد الحياة الشريفة ، كانت أعجب كائن عرفتها في حياتي» [3].

---

[1]- كاضم سلمان ، معجم القراء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002 م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 2007 ج1 ، ص 394 .

[2]- انطوان القوال ، المجموعة الكاملة من مؤلفات جبران خليل جبران (نصوص خارج المجموعة) دار الجبل ، بيروت ، ط1 ، 1992 ، ص11 .

[3]- جميل جبر ، المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران ، دار الجبل ، بيروت ، 2002 م ، دط ، ص 6 .

وما إن بلغ الخامسة من عمره أدخل مدرسة قريته من بشرى فتلقى مبادئ القراءة والكتابة . وساعده في تعلمه طيب المنطقة "سليم الظاهر" تنمية موهبة الرسم التي ظهرت فيه ، ويمكن القول بأن جبران نشأ في تراب الريف اللبناني وسط عذاب الفلاحين الفقراء ، في مرحلة فاصلة بين انهيار الإقطاع الاجتماعي وتصاعد البورجوازية وتثبيت الملكيات الخاصة . فقد شهد جبران بنفسه وفي وعي طفولته الحميمية قسوة الطبيعة ، وقسوة المسيطرين على المجتمع ووعى من البداية مأساة الفقر الاجتماعي وما عرف جبران رتابة في العيش أو في الحياة ، فقد فطر على حب التجول في تلك المرابع – في لبنان – الرائعة ، حيث الغابات والحقول والوديان والتلال المتناغمة الحالمة أبدا . [1]

لتكتب الحياة في نفسه فصولا موجعة ، فهو لم ينعم طويلا في حداثته إذ ضاقت أسباب الحياة أمام عائلته ، لأن الأب اتهم باختلاس ما كان يجبيه من الرسوم فسجن وحجزت أملاكه ، فما كان من الأم إلا أن غادرت الوطن ومعها أولادها الأربعة ، قاصدة الولايات المتحدة الأمريكية حيث نزلت في بوسطن سنة 1895 م ناشدين الحرية ويتوقون إلى العمل والعمل والعدل والمساواة ، فعملت كاملة وابنها بطرس في التجارة .

وأدخل جبران في مدرسة مجانية وكان آنذاك في الثانية عشر من عمره وكان جبران يقضي معظم أوقاته في الرسم ومطالعة الروايات الإنجليزية التي كانت تختارها له معلمته ، ولما اكتشفت معلمته هوايته في الرسم ، أوصت به معلمته إلى "فريد هولانندداي التري" الذي كان يشجع الفنانين الناشئين ولما رأى مواهبه أعجب به فتبناه فنيا ، وفي معرض لهولاند التقى جبران شاعرة فنية اسمها"جوزيف بيودي" فأعجب بها وهناك خفق قلبه لأول مرة في هذه المرحلة وأصبح أيضا يتقن فن التصوير في سنة 1898 م ، أرسل جبران إلى لبنان ليدرس اللغتين العربية والفرنسية فالتحق بمعهد " الحكمة " في بيروت ، حيث تلقى دروسه على يد مشاهير الأساتذة أمثال : الخوري يوسف حداد[1]« وأمضى في

---

[1]– ينظر : بريك نزار هنيدي ، الأجنحة المتكسرة لجبران خليل جبران مع مقدمة عامة ودراسة تحليلية ، دار رسلان للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، (د ط) ، 2008 .

الحكمة مدة ثلاث سنوات تبلورت من خلالها مواهبه في الرسم والكتابة »[1] .

وأهم ما أطلع عليه جبران في هذا المعبد : كليلة ودمنة ، نهج البلاغة ، الدرر ، ديوان المثنى والكتاب المقدس.

وكان يتردد في فصل الصيف "بشرى" فيزور أقاربه ورفاقه ، وفي "بشرى" تعرف إلى فتاة من أهل الغنى أحبها ، ولكن تقاليد المجتمع حالت دون زواجهما ، فذاق الحبيبان كثيرا من الألم والحرمان وظلم الأهل ، فجعلها فيما بعد بطلة روايته "الأجنحة المتكسرة" ، ولم يستطع "جبران" إكمال دراسته بالعربية لأن الزمن قاس عليه حين ماتت أخته "سلطانة" ومرض أمه وأخيه بطرس .

وفي سنة 1901 م عاد جبران إلى بوسطن لتلاحقه آلامه بفقده فيما بعد أخيه بطرس ثم أمه ولم يبق له من سند ومعين غير أخته مريانا . فتابع محاولاته في الكتابة والرسم ، وفي سنة 1904 م أقام جبران أول معرض له في الرسم تعرف إلى سيدة أمريكية ثرية وراقية هي "ماري هاسكل" حين زارت معرضه فكان لقاؤهما نقطة تحول في حياته وبداية ترقي سلم الشهرة .

وفي سنة 1908 ساعدته ماري هاسكل بمنحة شهرية ليسافر إلى باريس ويدرس أصول الرسم في معاهدها إلى ومكث في باريس ما يقارب ثلاث سنوات زار خلالها عدة دول أوربية ، عاد بعدها إلى الولايات المتحدة وفي نيويورك عام 1920 أسس الرابطة القلمية مع إخوانه أساطين الأدب العربي في المهجر : نسيب عريضة ، مخائيل نعيمة ، إيليا أبو ماضي وغيرهم ، ومكث جبران في نيويورك ولم يغادرها حتى وفاته في العاشر من شهر نيسان عام 1931 بعد إصابته بمرض سرطان في الكبد ونقل جثمانه إلى بْشَـــــرِي ليدفن في دير مارسركيس.

---

[1]– بريك نزار هنيدي ، الأجنحة المتكسرة لجبران خليل جبران مع مقدمة عامة ودراسة تحليلية ، المرجع السابق ، ص 10 .

عرف جبران في حياته العديد من النساء اللواتي شكلن محطات مهمة في حياته العاطفية أمثال سلمى كرامة وماري هاسكل وميشلين ، غير أن حبه لمي زيادة ملك عليه قلبه وخياله ، ورافقه حتى نهاية حياته .

1-2- جبران المبدع

من مؤلفاته[1] بالعربية :

- الموسيقى 1905 م.
- الأرواح المتمردة 1908 م
- الأجنحة المتكسرة 1912 م
- المواكب 1913 م
- دمعة وابتسامة 1914

ومن مؤلفاته الإنجليزية :

- المجنون 1918 م
- النبي 1923 م
- رمل وزبد 1926 م
- يسوع ابن الإنسان 1928 م .

وغيرها من الكتابات التي زخرت بها الساحة الأدبية العربية وخلدت مسيرة هذا المبدع ، وقد ترجمت جميعها إلى عديد من اللغات ، فكتاب " النبي " وحده ترجم إلى 54 لغة ، وطبع منه مليون نسخة بالإنجليزية ، و" حديقة النبي " ترجمت إلى 93 لغة ، ويباع من مؤلفاته بالإنجليزية فحسب 300 ألف نسخة سنويا يعود ربحها الذي يتجاوز عشرة آلاف دولار سنويا إلى بلدية قرية " بشرى " مسقط رأسه [2] .

---

[1]- ينظر : قصة " وردة الهاني " القصيرة لجبران خليلي جبران ، دراسة رومانتيكية ، بحث مقدم إلى كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة شريف هداية الله الإسلامية الحكومية جاكارتا ، 2010 .

[2]- ينظر : نفسه ، ص 21 .

2- مكانة جبران الأدبية

2-1- مكانة جبران الأدبية عن العرب

لقد تبوأ "جبران خليل جبران" عن جدارة مركز الصدارة في أدينا العربي المهاجر وذاع أدبه وفكره في طول الوطن العربي وعرضه ، وعلى الرغم من مرور أربعة وثمانين عاما عل وفاته ما زال اسمه حيا بيننا ومكانته محفوظة في قلوب أجيالنا ، ومن الأعمال التكريمية التي أقيمت احتفاء به نذكر[1] :

* **معرض معهد العالم العربي:** باريس 1998 : بالتعاون مع لجنة جبران الوطنية ، أقام معهد العالم العربي في باريس معرضا حول البعد الفني للوحات جبران تحت عنوان "جبران : فنان ورؤيوي" وشكل هذا المعرض صدمة للجمهور الفرنسي الذي تعرف إلى جبران الرسام للمرة الأولى وعبرت عن ذلك دهشة وزيرة الثقافة الفرنسية خلال زيارتها الجناح اللبناني .

* **معرض جبران في متحف سرسق بيروت 1999** : استقرت لوحات جبران فوق جدران القصر العريق في الأشرفية المعروف بمتحف سرسق . في معرض يليق بصاحب " النبي " تخللته قراءة دقيقة متأنية للرسائل المتبادلة بين جبران وماري هاسكل . ولقد شهد المعرض تمديد فترته الأساسية مرات . وأمه أكثر من 50 ألف زائر ، مما شكل ظاهرة غير مسبوقة في تاريخ المتحف .

* **حديقة جبران في بيروت** : برعاية رئيس مجلس الوزراء ، تم إطلاق اسم الشاعر والأديب والفيلسوف اللبناني جبران خليل جبران على الحديقة الكائنة أمام مبنى الأسكوا في الوسط التجاري في 27 تموز 2000 وحملت قاعدة التمثال في الحديقة قول جبران : " لو لم يكن لبنان وطني لاتخذت لبنان وطني ".

* **مؤلفات حول جبران وعالمه** : هناك المئات من المؤلفات والكتب التي غاصت وتعمقت في عالم جبران وفلسفته منها[1] :

---

[1] - موقع انترنت المركز العربي للمعلومات (Aic) Email.info@arabsino.com

1- الدراسات المعاصرة ، كتاب باللغة الإنجليزية عن جبران وعالمه

"Kalil Goubran¸his life world"

2- "عالم جبران الفكري" مجلدان للمؤلف والكاتب وهيب كيروز (حافظ متحف جبران)

3- " جبران خليل جبران بين الجسد والروح " للدكتور فؤاد أفرام البستاني .

4- دراسة "سيرة جبران خليل في أبعادها الوجودية " باللغة الفرنسية للدكتور بول العاصي طوق ، وهي أطروحة دكتوراه ناقشها في جامعة "ستراسبورغ".

*** ومن أقوال الأدباء فيه نذكر على سبيل المثال لا الحصر :**

قال عنه مخائيل نعيمة في كتابه : "جبران خليل جبران" عندما عدت إلى الشرق بعد عام لوفاة جبران ، وجدت صديقي يكاد يكون أسطورة من الأساطير حتى في بلاده .

وقال عنه حنا الفا خوري : « عبقرية خالدة تخطت حدود المكان والزمان وكان لها تحت كل كوكب مملكة وسلطان ونطقت بالكلمة ، فرددها الكون بكل لغة ولسان»[2].

2-2- مكانة جبران الأدبية عن الغرب

---

[1] - موقع انترنت المركز العربي للمعلومات (Aic) Email.info@arabsino.com

[2] - انطوان القوال ، المجموعة الكاملة من مؤلفات جبران خليل جبران (نصوص خارج المجموعة) ، ص10 .

جبران العبقرية اللبنانية التي عانقت العالم بالأفكار الشمولية هي اليوم أساس ثقافة السلام المرتكزة على المساواة بين الرجل والمرأة والعدالة والحرية والديمقراطية والسلام بين الشعوب . جبران كرم في مختلف دول العالم من خلال نشاطات متعددة خلدت اسمه منها[1] :

* **حديقة جبران في واشنطن** : في أوائل التسعينات ، أنشئت حديقة بالقرب من المكتبة الوطنية في واشنطن أطلق عليها "جبران خليل جبران".

* **مؤتمر جبران العالمي الأول ، جامعة ماريلاند سنة 1999م** : أقامت جامعة ماريلاند في الولايات المتحدة بالاشتراك مع لجنة جبران الوطنية المؤتمر الأول لجبران تحت عنوان : " جبران خليل جبران " : داعية سلام ورائد في حقوق الإنسان " شارك في المؤتمر 42 باحثا وأستاذا جامعيا وشاعرا وكاتبا ، حضروا من أقطار العالم كله... وكرس هذا المؤتمر جبران رسميا في المناهج الجامعية الأمريكية كشخصية أدبية أمريكية من لبنان .

* **كتاب للمؤلف البريطاني** "**روبن واترفيلد**" جبران خليل جبران بني عصره .

* **ندوة أكاديمية حول أعمال جبران في الصين** : فالباحثون الصينيون يعتبرون جبران الذي نشا في ظلال الأرز أكثر الأدباء العرب شهرة وشعبية لدى الصينيين حيث يبرز شغف كبير بأعماله وسط المترجمين والقراء ويؤكدون أن دراسة الصينيين لأعماله الثرية من شأنها أن يسهم في توطيد الأواصر الثقافية الصينية . اللبنانية على نحو خاص والصينية . العربية بوجه عام . ولقد وصلت عدد نسخ أعماله الكاملة التي صدرت من إحدى دور الطباعة والنشر الصينية حتى سنة 2014م ست نسخ رئيسية ، فضلا عن صدور كتابين وأكثر من سبعين أطروحة أكاديمية في الصين حول أعماله . ويتفق الباحثون في أن ولع الصينيين بجبران ، الذي يعد منبر الأدب العربي ، يرجع إلى أن أدبه يميل إلى تصوير الشعور و الأحاسيس الإنسانية العامة التي ينفعل معها القراء وإلى جنوحه إلى الحكمة والتعابير الشعرية بما يلائم أذواق الصينيين التي اكتسبوها من تراثهم الشعري والفلسفي العريق .

---

[1]- موقع انترنت المركز العربي للمعلومات (Aic) Email.info@arabsino.com

* زارت لبنان ابنة " ملك سكيم " في أقصى جبال التبت ، لتتعرف على وطن جبران وفي حديث لها مع مجلة الصياد قالت : إن شعب التبت لا يقرأ إلا الكتب الدينية ودواوين الشعر وقصص جبران خليل جبران[1] .

إن المهاجرين وغيرهم عرفوا قدر جبران و أصبح في نظرهم نابغتهم وفيلسوفهم وراحوا يترجمون كتبه إلى العربية ، ولكن كعادتهم انتظروا يوم وفاته لتكريمه وتقديسه ، بينما الأميركيون عظموه في حياته ومنحوه ما يستحق من قلوبهم وجيوبهم ، فكتبت عنه في حياته جريدة نيويورك هرلد : " أنه نابغة ستين مليونا من الشرقيين المتكلمين العربية".

* وقال عنه أحد المفكرين الغربيين : إن جميع كتابات جبران تدعو إلى التفكير العميق ، بل ترغم قارئها على تشغيل ذهنه وعقله ، فإن كنت تخاف أن تفكر فالأجدر بك ألا تقرأ لجبران .

*وقال آخر : جبران مفكر عميق وشاعر غير مخير في شاعريته ، فكل عبارة تخرج من شفتيه ملؤها الفكر والشعر ، فإذا لم تشاطر جبران شعوره وتصبغ فكرك بصبغة فكره فعبثا تحاول أن ترافقه في سياحاته .

* وقال عنه **أوغست رودين** أعظم نحاتي العصر الحاضر عندما زار معرض صوره في باريس " إن العالم يجب أن ينتظر كثيرا من شاعر لبنان ونابغته جبران فهو (ويليام بليك)* القرن العشرين" [2] .

لقد كان جبران " إنسانا " يحب كل إنسان على وجه الأرض خارجا عن حدود الدين والجنس والإقليم إلى رابطة الأخوة الإنسانية ، وهو ما دعا " **بربارة يونغ** " ، إلى وصف كاتبنا جبران ، في كتابها "جبران خليل جبران ، رجل "من لبنان" وصفا نقتطف منه بعض الفقرات قالت : « إن جبران هو إحدى التفاتات القدرة الكلية التي لا يخص لها عديد ، وكانت تتجلى في صوته وشخصه ، وسلطة يجب أن يميز بينها وبين المفهوم البسيط للتفوق

* شاعر إنجليزي ورسام (1757م – 1827م) .

[1]- موقع انترنت المركز العربي للمعلومات (Aic) Email.info@arabsino.com

[2]- مجلة كفربو الثقافية ، مجلة الإلكترونية ، 2014 ، عدد 35 .

البشري... إنه يحقق رغباتنا السامية ، عقل غني وكبير وعظيم وخلق جبار ورجل ساحر جدير بكل حب يتقد حمية من أجل كل حكمة ... وما من شخص يستطيع الحكم عليه ، لأن كل هذا العالم مبني على أسس غير أسسه ويضيع في جوه ، تستولي عليه مثالية مطلقة إلى درجة كبيرة وإنسانية تسديدة الحركة ، حتى لأشعر في حضوره كأنني في اتصال مع الألوهة »[1] .

وبعد هذا الاستعراض لمكانة جبران عند العرب وعند الغرب ومما لا شك فيه أن أعمال "جبران خليل جبران" من الأعمال التي استطاعت أن تصمد في وجه الزمن ، وتنجح في امتحانه ، وذلك أنها اليوم ، وبعد مرور أكثر من أربعة وثمانين سنة على وفاة مبدعا

[1]- حنا الفاخوري ، الجامع في تاريخ الأدب العربي ، الأدب الحديث ، دار الجيل ، بيروت ، ط1 ، 1986 ، ص225.

ومازالت تتصدر قوائم الكتب الأكثر مبيعا ، ومازالت دور النشر تتسابق على إعادة إصدارها بطبعات شعبية أحيانا ، وطبعات فاخرة أحيانا أخرى .

كما أن أعمال جبران لم تتجاوز حدود الزمان فحسب ، بل تجاوزت حدود المكان أيضا ، فهي اليوم مقروءة في جميع بقاع الأرض ، بعد أن تمت ترجمتها إلى معظم لغات العالم سواء كانت هذه الأعمال ما كتبه من قصص ومقالات شاعرية أو قصائد منظومة وأنواعا أخرى من الأدب .

ولقد ساهم في إعطاء كتاباته مكانتها الأدبية العالمية ، العمق والسمو الذي قلما تميز به كاتب كما أن طبيعته الغنانة والخلاقة جعلت من الكلمات صورا وخيالات تتراقص مع المعاني والمضامين على مسرح الإبداع والخلق ، فجعلته فريدا متميزا بين أترابه ، ولم يترك أي مجال من الحياة من موضوع الأمومة إلى موضوع اللغة إلى موضوع الطبيعة ... إلا وتناوله بمقالة أو قصة تجسيدا وإيحاء . فكل كلمة من كلماته حملت ألف معنى ومعنى ، أسلوبه يطرب السامع ويبحر به إلى الخيالات والأحاسيس ، إنه " الأسلوب الجبراني" ، على حد تعبير سلمى خضراء الجيوسي في كتابها الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث . ومن المؤكد أن بنية الأدب الجبراني ، تتألف من مزيج من العناصر الرومانسية والواقعية ، والصوفية والثورية والحداثية التي استطاع جبران أن يؤالف بينها في توليفة سحرية لا تتأتى إلا لمبدع كبير حقا ، فأدبه رومانسي وواقعي وصوفي وثوري وحداثي في الوقت نفسه...فكيف تتجدل هذه الخيوط وتتفاعل فيما بينها ، لتتماهى في النسيج الأدبي لنصوصه ، فذلك هو سر هذه النكهة الخاصة التي تمنح أعمال جبران خليل جبران فرادتها وخصوصيتها[1] .

[1]- ينظر ، بيرك نزار هنيدي ، الأجنحة المتكسرة لجبران خليل جبران ، ص- ص 20 ، 21 .

الفصل الثالث

مظاهر الشعرية في النص الجبراني

1- مضمون المدونة الجبرانية (نماذج)

1-1- الأجنحة المتكسرة .

1-2- الأرواح المتمردة .

2- مظاهر الشعرية في النص الجبراني .

2-1- شعرية اللغة .

2-2- شعرية الإيقاع .

2-3- شعرية التناص .

2-4- شعرية السرد الذاتي واستخدام عناصر السيرة الذاتية .

2-5- شعرية الإيحاء والتصوير .

1- مضمون المدونة الجبرانية (نماذج)

1-1- " الأجنحة المتكسرة "

الأجنحة المتكسرة رواية صغيرة الحجم نسبيا ، نشرها "جبران خليل جبران" لأول مرة عام 1912 م بنيويورك ، وأهداها إلى " ماري هاسكل " التي تحدق إلى الشمس بأجفان جامدة وتقبض على النار بأصابع غير مرتعشة ، وتسمع نغمة الروح الكلي من وراء ضجيح العميان وصراخهم . وهذه القصة كما يقول محمد يوسف نجم[1] : " لون من البوح الشخصي " .

تدور أحداث القصة عن حكاية الحب الأول الذي عرفه وعاشه جبران ، وكيف أن هذا الحب حفر عميقا في نفس الكاتب حيث تحدث فيها عن علاقته بالمرأة التي ملئت عليه حياته " سلمى كرامة " ولكن هذه العلاقة لم يكتب لها النجاح .

ففي واحدة من جلسات الكاتب التي كان يقضيها رفقة أصدقائه ، تعرف إلى رجل غني هو السيد " فارس كرامة " ، الذي تشاء الصدف أن يكون هذا الأخير صديقا قديما لوالده ، فطلب هذا الصديق القديم من الكاتب زيارته في بيته ليتجاذبا أطراف الحديث عن الزمن الذي جمعه بوالد الكاتب ، ولكي يتعرف أيضا على ابنته الوحيدة . وعند زيارته له تعرف إلى ابنته " سلمى كرامة " ، فكان الحب من أول لقاء ومع أول نظرة جمعتهما ، وسرعان ما وجدت سلمى كرامة لها في قلب الكاتب مكانا لا يزاحمها عليه أحد ، وتربع هو على عرش قلبها . وتتكرر الزيارات وتتوطد المحبة أكثر فأكثر ، وفي إحدى أمسيات تناول العشاء في بيت السيد كرامة جاء هذا الأخير طلب من المطران بوجوب زيارته فما كان منه إلا الرضوخ لهذا الطلب ، وهي الفرصة التي جعلت الكاتب يقترب من "سلمى كرامة "

---

[1]- محمد يوسف نجم ، القصة في الأدب العربي ، الجامعة الأمريكية ، دار الثقافة ، بيروت لبنان ، ط 3 ، 1960 ، ص 145 .

ويبوح بحبه الكبير لها ولتبادله نفس الحب . لكن زيارة والد سلمى للمطران جلبت معها الحزن لهذين القلبين ، وذلك بقرار زواجها من ابن أخ المطران ، وهو السيد منصور بك الذي سبق طمعه طلبه .

وتزوجت " سلمى كرامة " بغير إرادتها تحقيقا لرغبة والدها ، الذي كان عليه أن يمتثل لطلبات المطران . ومر زمن لم يلتق الكاتب محبوبته رغم أنه لم يقطع زيارته للسيد فارس كرامة ، ليجده في إحدى زياراته وقد طرق الموت بابه ، وهي الليلة التي التقى فيها الكاتب سلمى ليتعاهدا المحبان على اللقاء مرة كل شهر في أحد المعابد الصغيرة ، ومرت خمس سنوات على زواج سلمى ورزقت بمولود ، لم تكتب له الحياة أن يعيش طويلا ، فتوفيت سلمى وطفلها بعد ساعات من الولادة ، هذا الطفل الذي أتى إلى العالم ليأخذ سلمى ويرحل تاركا الكاتب يعيش الوحدة وأوجاعها .

1-2- " الأرواح المتمردة "

لقد بدأ جبران خليل جبران عمله هذا بالإهداء التالي : « **إلى الروح التي عانقت روحي ، إلى القلب الذي يسكب في قلبي ، إلى اليد التي أوقدت شعلة عواطفي أرفع هذا الكتاب..جبران** »[1] .

كانت هذه الكلمات العذبة هي مقدمة رائعة " الأرواح المتمردة " التي أصدرها عام 1908م ، في بوسطن ، وقد ضمتها أربع قصص هي (وردة الهاني ، صراخ القبور ، مضجع العروس وخليل الكافر) . وهي تحمل في طياتها « مجموعة مقالات ذات انطلاق شعري ويؤكد فيه الكاتب على مبدأ التحرر ويرفض عنيفا الجور والنفاق وتزييف تعاليم الدين »[2]

إن كتابات جبران ثائرة على رجال الدين وإقطاعية الإشراف ، والاستغلال ، والتسلط ، وعلى التقاليد المجحفة التي تكرس عبودية الشعب وإذلال المرأة ، وعلى الزواج المصلحي فقد جاءت هذه الأفكار في الأرواح المتمردة وزادت تمرسه بالحرية والتحرر فكان وجوده في أمريكا وراء تمرده الفكري . أو لكأنه حمل معه جو لبنان المعنوي كما تحمل دودة الحرير شرنقتها ليخرج منه وعليه وينطلق كالفراشة إلى النور وسأورد خلاصة قصصه الأربعة والتي نبدأها بقصة " **وردة الهاني** " ، « **فوردة فتاة جميلة ، فقيرة زوجت قسرا – وهي بعد في مقتبل العمر – من رجل كهل ثري فلم تنعم بالحياة ، الأمر الذي دفع بها للارتباط بعلاقة عاطفية مع شاب بائس مثلها** »[3] . وغمرها بالحب كان شقيق روحها فلم تقوى عنه انفصالا ، فتبعته غير عائبة بالعرف والمراسيم والشرائع والقوانين البشرية ، « **ولا بأقاويل**

---

[1]- انطوان غطاس كرم ، محاضرات في جبران ، دار الرائد للطباعة ، القاهرة ، مصر ، د.ط ، 1964 ، ص 69 .

[2]- ناظم حطيط ، أعلام ورواد في الأدب العربي ، الشركة العالمية للكتاب ، دار الكتاب اللبناني ، مكتبة المدرسة ، ط1 1987 ، ص 443 .

[3]- المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران ، تقديم مخائيل نعيمة ، ص 91 .

الذين لا يدركون كنه أوجاع المرأة تقف نفسها بين رجل تحبه بإرادة السماء ورجل تلتصق بـه بشريعة الأرض »[1] ، ينطلق المؤلف من هذه الواقعة ليندد بالقيود الاجتماعية الصدئة والزواج التجاري الذي ألفه أبناء الشرق حتى صار من تقاليدهم .

أما قصته "**صراخ القبور**" فتصور لنا طغيان الحاكم على الرعية ، وكعادة جبران في قصصه ، فقد استوحى موضوعها من حادثة حقيقية جرت في قرية بشري من شمال لبنان ، تحدث فيها عن استبداد السلطان وجوره وغياب العدل وانتشار واسع للعقيدة الكاذبة المزيفة فـ " صراخ القبور " قصة تروي مجريات الحكم بالإعدام على ثلاثة مجرمين دون شهادة تذكر ، وضحايا هذا الجور رجلان وامرأة ، فأما الأول فاستحق عقوبة الموت لأنه ذاد عن دياره ضد قائد للأمير فأرداه قتيلا فاستحق بذلك الموت . أما المرأة فكانت عقوبتها أن تجري عارية في الحقل ثم ترجم وتترك فريسة للذئاب الجائعة وسبب عقوبتها خيانتها لزوجها . أما الثالث فكان الشنق عقوبته لأنه سرق زنبيل دقيق من الدير من أجل أن يطعم أولاده .

" **سلب الدماء محرم ، ولكن من حلله للأمير ؟** " [2].

" **سلب الأموال جريمة ، ولكن من جعل سلب الأرواح فضيلة ؟** " .

" **خيانة الشاء قبيحة ، ولكن من صير رجم الأجساد جميلا ؟** " .

" **أنقابل الشر بشر أعظم ونقول هذه هي الشريعة ؟** " .[1]

---

[1]- انطوان غطاس كرم ، محاضرات في جبران ، ص 69 .

[2]- جميل جبرا : جبران خليل في عصره آثاره الأدبية والفنية ، ص 85 .

[1]- جميل جبرا : جبران خليل في عصره آثاره الأدبية والفنية ، المصدر السابق ، ص 86 .

أما رائعته الثالثة فهي مضجع العروس ، وهي حادثة جرت على حد قول جبران – في لبنان الشمالي – في النصف الأخير من القرن الماضي ، تحكي قصة فتاة أحبت فتى ، لكنها تزوجت من غيره ، من شخص لا تحبه نكاية في من أحبت بعد أن وصلتها عنه أخبار كاذبة دعتها إلى الشك في صدق حبه لها .

وفي ليلة عرسها والأفراح تدق طبولها أبصرت محبوبها الذي هجرته ظنا منا خيانته ، فطلبت من صديقتها " سوسان " أن تكون مرسولا بينهما وتطلب منه أن يجتمع بها في حديقة قرب المنزل ، لأنها تود أن تعتذر منه وتطلب السماح لظنها السيئ به ، بعد أن تأكدت أن كل تلك الشكوك والأخبار ادعاءات أراد البعض إيهامها بها واستغلال هذا الأمر . والتقى المتحابان تحت أشجار الصفصاف ولأن العاشق متيم بها لم يشأ أن يفسد على العروس عرسها ويعرضها للأقاويل ، فادعى حبه لغيرها ، فاستلت خنجرا كان بحوزتها وطعنته به ، وحين رأى العاشق الموت مرأى الحين اعترف بحبه لها وبأنه فضل كرامتها وسمعتها على حبه لها فصعقت لهول هذا الأمر . وإلى عرسها الحقيقي دعت كل من كان في الحفلة لحضوره ، وكشفت ما قام به من سيتزوجها باستخدام الحيلة والمكر ليبعدها عن حبيبها وغمدت الخنجر في صدرها . ليتقدم الكاهن في نهاية المطاف لاعنا كل يد تمد المساعدة لهذين الجسدين الملطخين بالعار ، ولينطلق الراوي بلسان حاد اتخذ من وسيطة العاشقين " سوسان " لسانا معبرا عن كل ما يختلج بداخله من تمرد على كل الشرائع التي تستبيح قتل الأحبة . وأن هذا الحب من وحي الله وعلى كل البشر خدمة هذا المقدس وكيف أن الملائكة تتغنى بهما وهو ما لا يمكن للكهنة أن يدركوه .

أما قصة " **خليل الكافر** " ، فتقترب كثيرا من قصة " يوحنا المجنون" تحكي قصة خليل الذي دخل الدير طفلا يتيما ، فنشأ يخدم كهنة الدير ، يرعى أبقارهم ولا يتغذى إلا من بقايا خبزهم ولا ينام إلا مع خنازير الدير وحيواناته ، لكن تعاليم المسيح الناصري حفرت فيه

عميقا وأيقضت روحه التي ترى الاعوجاج وتأبى أن تسايره أو أن تصمت عنه . فخيرات الفقراء والمساكين يتمتع بها رهبان الدير ، بينما يعيشون هم الجوع والفقر والألم والحرمان ، لتنتفض روحه وتصيح :" **إن يسوع الناصري قد بعثهم كالخراف بين الذئاب ، فأي تعاليم جعلتهم يصيرون كالذئاب بين الخراف . لماذا تبتعدون عن البشر وقد خلقكم الله بشرا ؟** "[1].

ومسرح هذه القصة دير قزحيا .. تحمل بين جناباتها تهكما وسخرية للذين استباحوا أموال الناس وأرواحهم ، ولا يكون جزاء من يخالف هواهم إلا الطرد والحرمان . وخليل واحد من ضحايا رهبان الدير والمتاجرين بالدين .. عذب لأنه ثار على جبروتهم وظلمهم فطرد في ليلة عاصفة كسا فيها الثلج ربوع القرية ، ولولا أن سمعت امرأة وابنتها صراخه وتوجعه وأنينه لكان قد مات تحت الثلوج . فشملتاه بعطفهما ورحمتهما وأعادتا إليه الإحساس بإنسانية الإنسان التي طالما افتقدها في الدير.

ولقد تحدث جبران عن تحالف رجال الدين مع الأمراء وأصحاب الجيوب الملأ بخيرات المساكين ، هذا التحالف الذي تتساقط معه أعناق الفقراء وتهدر الأرواح .. لكن جبران أراد للخير الكامن في خليل الكافر أن ينتصر على الطغاة وتتحقق العدالة الإلهية .

فالأرواح المتمردة مجموعة قصصية ممتازة سنحاول من خلالها إبراز براعة جبران خليل جبران في التصوير والسرد وبراعته في استخدام اللغة السحرية التي تنبع من بين أنامله ، أفكاره ، رؤيته ، نظرته واتجاهاته ..

فلقد نشر الراوي العديد من أفكاره ووجهات نظره من خلال الأجنحة المتكسرة والأرواح المتمردة ، مبرزا من خلالهما مواقفه المختلفة ، وانطباعاته الشخصية حول مظاهر اجتماعية

---

[1] – مخائيل نعيمة ، المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران ، ص 132 .

يرى فيها الكثير من الإجحاف ، ويدعو لضرورة التغير ، فلم تخلو صفحة من صفحاتهما دون أن تتضمن حكمة بليغة أو عبرة عظيمة ، تشعر عند قراءتها أن جبران فيلسوف من الزمن الغابر .. ألمه ، يأسه ، غضبه ، تمرده ، ثورته ، كل هذه الصفات جعلت منه حكيما ، أخرج عملا أدبيا فريدا ، وأبرز عنصر تناوله هو المرأة مناديا بحقوقها ، كما تقاطع فيهما الواقعي بالرومانسي (الجمال ، الحب وعبادة الحب ، الزواج ، الظلم ، الاستبداد ...) .

2- مظاهر الشعرية في النص الجبراني

اتخذ جبران القصة أداة تعبير عن النفس الإنسانية في تفاعلها مع الأحداث والناس ، وفي موقفها من الحياة والمجتمع السائد ، والقصة في مدلولها ، حادثة أو مجموعة من الحوادث المترابطة ينتقيها القاص من الحياة ، لذلك لجأ جبران إلى القصة لأنها كانت تعبر عن نفسه ، وعن رأيه في الناس والأحداث، وهو يصور كل ذلك حسب رؤيته هو ومفهومه ، وقد عرض علينا جبران صورة الحياة انطلاقا من أثر التجربة والثقافة ، فقد اختار معاني

صالحة للتعبير عن فكرته ورأيه في الحياة ، كما اختار الأبطال الذين يصلحون لحمل هذه الأحداث والتفاعل معها ، ونجده من خلال السرد يحلل نفوس الأبطال ونوازعهم الإنسانية ، ويعبر عنها كما يفسر دوافعهم ، ويكشف لنا أيضا على الغموض في الحياة . فهو إن لجأ إلى القصة ، فبهدف إظهار النواحي الفلسفية والخلقية والاجتماعية في إطار فني قوامه مشاكل الواقع .

فجبران خليل جبران شخصية فريدة في الأدب العربي الحديث ، وهو من الشخصيات النادرة عالميا التي تتحد من يقترب منها أن يبتعد عن دراستها ، والدخول في أعماقها فحياته خليط من الغموض والسحر والجرأة التي جعلته يتحرر من قيود تقاليد اللغة والأدب وينشئ فنا جديدا من فنون الكتابة في الأدب العرب ، فلا يسعنا مع هذا إلا أن نقف مطولا أمام نتاج جبران القصصي الإبداعي لنرصد مظاهر الشعرية وتجلياتها في السرد القصصي الجبراني من خلال المدونتين : الأجنحة المتكسرة والأرواح المتمردة وتمثلت المظاهر التي تناولتها في :

- شعرية اللغة .
- شعرية الإيقاع .

- شعرية التناص .
- شعرية السرد الذاتي واستخدام عناصر السيرة الذاتية.
- شعرية الإيحاء والتصوير.

وسوف نتناول هذه الملامح والمظاهر بالتفصيل لنرى كيف تتحقق الغنائية والشاعرية من خلال الأسلوب الجبراني في كتاباته السردية .

2-1- شعرية اللغة

تشكل اللغة الوعاء المادي الذي يكتسب فيه البناء القصصي وجودا واقعيا فالبعد اللغوي هو البؤرة التي تنطلق منها الأبعاد الأخرى وترتكز عليها ، والمسألة الأكثر إلحاحا هي إن لغة القصة ليست خارجها وليست أداة اتصال وإنما أداة إنتاج ، والنسيج الداخلي الذي يتحدد بجميع العناصر الأخرى ويحددها في آن . ولهذا البعد في القصة خصوصية أكثر بسبب كثافتها الشديدة ، واقترابها من لغة الشعر في أجواء تعبيرية ورمزية سواء على صعيد الجملة

التي تنتج صورا ومجازات أو على صعيد الدلالة العامة التي تنتجها القصة كلها ، فاللغة التي تضفى جمالية خاصة على القصة بوساطة الخرق الدائم لقواعد اللغة المعيارية ، أي عندما تؤسس العلاقات الجمالية لهذا النظام الجمالي المؤكد على تحويل مستمر للمسافات القائمة بين الدال والمدلول وخلق دلالة جديدة مشبعة بطاقة البث الإيجابي ، هي لغة شعرية تستعير من النص الشعري إمكانيته التي تجعل القارئ يتعامل مع تلك الموجودات النصية (الكلمات / العلائق) ، تعاملا شعريا يمنح القصة غنائية مميزة [1].

ويبنى السرد في المدونتين المختارتين لموضوع الدراسة : الأجنحة المتكسرة والأرواح المتمردة ، فضاءها الجمالي بتلبسهما روحا جمالية تمنح هذا الجسد حيويته وفيضه الجمالي الفاعل بجملة تأثيراته ، ويتحقق ذلك في لغة النص الشاعرية فاللغة المستعملة في الأجنحة المتكسرة والأرواح المتمردة هي لغة البلاغة الجبرانية « ذات خيال نشط ، مجنح ينشط في أكثر الأحيان إلى عوالم الفن العلوية فلا يلحقه لاحق

ولا يشق له غبار»[1] ، أما ألفاظها فلقد جاءت مستقاة من أفراح الحياة وأحزانها ، فالألفاظ في الأجنحة المتكسرة والأرواح المتمردة ، جاءت مما يتداوله عامة الناس في أحاديثهم اليومية ، لكن جبران نزع منها صفة العمومية ليجعلها ألفاظا جبرانية بوجه من الوجوه فيها تطابق بين خيال الشاعر وموضوع القصة ، بدأ بشعرية العنوان الذي هو اختزال للنصوص ، وفيه تكمن بداية النص ومنتهاه ، فهو يؤدي جملة من الوظائف والمعاني ، ولقد حدد "جيرار جنيت" أربعة وظائف للعنوان ، وهي كالتالي :

1- الإغراء : المنطق الذي يبنى عليه العنوان .

---

[1]- نقلا عن : جاسم خلف إلياس ، اللغة القصصية /الشعرية في القصة القصيرة جدا ، نشر في : 2008/11/02 ، موقع : www.alnoor.se.

2- الإيحاء : الوظيفة الإيحائية « تنهض على الإيحاء بالمعنى ، فالكاتب يخاطب من القارئ ثقافة وملكات ، ويستعمل من اللغة طاقتها في الترميز ، وليس همه التوصل إلى المضمون أو الشكل بقدر ما تعنيه مفاجأة القارئ »[2] .

3- الوصف : وهو الصورة الرمزية التصويرية لفحوى الموضوع كما في روايتي الأجنحة المتكسرة والأرواح المتمردة ، فالأجنحة المتكسرة صورت انكسارا الروح عندما تفتقد المحبة وحين نفقد من نحب ، والأرواح المتمردة هي صرخة مدوية ، ثورة على القيود ، هي أرواح تمردت وأرادت الخروج على واقعها ورفضه ، خاضوا المعركة ، فكان النفي والقتل والسجن والتعذيب . فإن لكل قصة بطلها .. وأحداثها . لكن في النهاية هناك شئ يجمع بين كل الأبطال والشخصيات وهو التمرد والثورة ، جميع الأبطال ثاروا ضد شرائع الإنسان وطريقة استخدامه للسلطات سواء الدينية أو غير الدينية ، وضد التقاليد التي هي في حقيقتها مخالفة

للقلب والفطرة .. ضد الاستبداد الإقطاعي .. ضد الزواج الذي لا يقترن بالحب ... وكل المعتقدات البالية كما يراها جبران خليل جبران .

4- التعيين : هناك الكثير من الروايات لها نفس العنوان ، وسواء كان هذا التشابه أو التطابق عمديا أو محض صدفة فذلك ما يبين وحدة الفكر الذي يرمي إليها كل كاتب .

---

[1]- محمد يوسف نجم ، القصة في الأدب العربي ، ص 147.

[2]- محمود الهميسى ، براعة الاستهلال في صناعة العنوان ، الوقف الأدبي ، اتحاد كتاب العرب دمشق ، ع33 ، السنة 1997 ، ص 44 .

[1]- جبران خليل جبران ، الأجنحة المتكسرة ، تقديم كرم الدكروري ، سلسلة إحياء التراث العربي ، دار مصر للطباعة – القاهرة ، (دط) ، 2011 ، ص 82.

[2]- نفسه ، ص 83 .

فالأجنحة المتكسرة والأرواح المتمردة ، كل منها حمل في طياته خلاصة الفكر الجبراني فمن هالة الكلمات التي غزلت ونسجت حكايتهما انبثق العنوان في شعرية تنبأ قارئها بأنها كلمات وأنفاس جبران.

ولأن واقع اللغة الروائية ليس هو واقع الواقع ، إنه واقع من نوع خاص واقع تتحكم فيه اللغة وتضبط آليته ، حيث تصبح اللغة ولادة تخلق واقعها بنفسها ، تخلق واقعا ثالثا ليس هو الواقع المعين ، ولا واقع الرواية وإنما هو واقع يتسم بشعرية الواقع يمزج بين الزمان والمكان كما أنه واقع مشخص فالقدر سجان « **هكذا قبض القدر على سلمى كرامة وقادها عبدة ذليلة في موكب النساء الشرقيات التاعسات** »[1] ، مثلما ورد في الأجنحة المتكسرة، والحب أنيس كما الإنسان يجالس صاحبه « **مر أسبوع وحب سلمى يجالسني في المساء منشدا على مسمعي أغاني السعادة...**»[2]

وفي الأرواح المتمردة ، تتشخص الألفاظ ، فيصير المساء نساجا لليل والسكون « **وابتدأ المساء يحوك من خيوط الظل والسكون نقابا دقيقا ليلقية على جسد الطبيعة** »[3].

فجبران في ثورته على الواقع واللغة معا ، كان منسجما مع طموحه إلى خلق إبداعي مختلف ، يريد أن يرى اللغة في حركيتها وتحولها ، لا في ثباتها فهو لا يؤمن بقداستها الممنوحة لها من خارج واقعها وبنيتها الحيوية لأن دلالة القداسة التي أسبغت على اللغة شرعت في تجميد طاقات هذه اللغة عبر تاريخها ، لذلك كان جبران ، عندما يعبر، يقلب النظام التقليدي الذي يحكم العلاقة بين المفردات والواقع ، أو بين الذهن والصورة المتخيلة من أجل الوصول إلى نبض الأشياء ولغتها الحقيقية دون قشور وأقنعة ، فجبران حين يقول في الأجنحة المتكسرة واصفا شعر محبوبته سلمى فيقول أن **شعر سلمى الذهبي أشبه بالطهر ، الذي لا يمكن أن**

---

[3]- جبران خليل جبران ، الأرواح المتمردة ، سلسلة وحي القلم ، دار تلا نتيقت للنشر ، بجاية ، ط 2003 ، ص 42.

نراه ، فنلاحظ ألفاظه تنهمر انهمار الغيث ، موحية ، غريبة وواقعية في آن واحد ذلك أن جبران صادق مع نفسه لا يتكلف الصياغة ، ولا الصورة ، ولا يجهد خياله بل يتوهج الخيال توهجا ذاتيا ولعل هذا هو السبب في قرب أسلوب جبران من الأنفس .

فاللغة الشعرية عند جبران ملمح مهم على امتداد صفحات قصصه ، وأن النص الإبداعي يتمرد على كل القوانين ، ويتجاوز القوالب الجاهزة فأضفت على نصه السردي هذه الغنائية الساحرة العميقة التي لا تتوفر عادة إلا في النصوص الشعرية . فقد اقتربت هذه القصص من الشعر واستفادت من طاقاته الإبداعية وبنت نصوصا سردية مغايرة لقيت فيها اللغة الشعرية بإمكاناتها المتعددة دورا أساسيا وجد فيه القارئ ضالته .

الأجنحة المتكسرة والأرواح المتمردة ... لغة تسرى فيها أنفاس الشعر ، لغة حية مليئة بنغمات العالم أجمع سرد عميق شاعري حزين ، موجع حد الألم ، كيف لا ؟! وهو عنوان الكتابة الجبرانية .

2-2- شعرية الإيقاع

من الخطأ أن نعتقد طبيعة الإيقاع شعرية ، بحكم تجاور الأسباب و الأوتاد ، كما اقتضتها طبيعة الوزن ، وننسى أن الإيقاع من طبيعة اللغة شعرا ونثرا ، « وعلائق الأصوات والمعاني والصور وطاقة الكلام الإيجابية والذيول التي تجرها الإيحاءات وراءها من الأصداء المتلونة المتعددة هذه كلها موسيقى» [1] ، تشكلها عملية تجاور الحروف والكلمات ودلالات المعاني ومختلف صياغات العناصر التي تكون معها مرتكزات النص الداخلية ، « إذ أن الإيقاع الداخلي قائم في حركة مكوناته »[2] عند تتبع التراكيب وتواصل الجمل في بطئها وتسارعها .

فالإيقاع يعد عنصرا مهما من عناصر الشعرية ، ونجده بأشكال مختلفة في النص الأدبي ، وقد تحقق الإيقاع في القصتين " الأجنحة المتكسرة والأرواح المتمردة " بنسبة كبيرة جدا ، فلم يفسد نثرية القصتين ولم يؤثر في سردهما أو حوارهما ، وقد ظهر في ثنايا الخطاب التأملي والحكمي ، فضمتا في ثناياهما تيارا من الإيقاع وتموجاته الرنانة تنساب مع بعض النصوص الغائبة ويؤدي وظيفة شعرية ، فإذا جئنا إلى هاتين القصتين وجدنا جبران يكثر من الجمل والعبارات ذات الإيقاع الشعري مستخدما أيضا الوسائل البلاغية التقليدية كالسجع والجناس وتساوي الجمل فضلا عن الصور وترابط الجمل ، حتى تغدو بعض الفقرات قصائد مستقلة يمكن انتزاعها من السياق .

ففي الأجنحة المتكسرة يطالعنا منذ البداية تحول السرد إلى قطعة موسيقية : « **كنت في الثامنة عشر عندما فتح الحب عيني بأشعته السحرية ، ولمس نفسي لأول مرة بأصابعه النارية ، وكانت سلمى كرامة المرأة الأولى التي أيقضت روحي بمحاسنها . ومشت أمامي إلى جنة العواطف العلوية حيث تمر الأيام كالأحلام وتنقضي الليالي كالأعراس .**

سلمى كرامة هي التي علمتني عبادة الجمال بجمالها ، وأرتني خفايا الحب بانعطافها ، وهي التي أنشدت على مسمعي أول بيت من قصيدة الحياة المعنوية »[1].

فهذه الفقرة تعد قصيدة تتجلى فيها قوة الإيقاع من خلال لحظة البوح الشخصي عن الحب الأول ومن تكرار اسم محبوبته " **سلمى كرامة** " وكأنه بتكراره لاسمها يعزف سنفونية مليئة بالعواطف والأحاسيس ، سنفونية أيقضت روحه ، وأضفت على السرد سحر الكتابة الجبرانية ، فهي صورة فنية ذات صيغة شاعرية رسمها الكاتب ، فمن المعروف أن التكرار يعد من

---

[1] – أدونيس ، مقدمة للشعر العربي ، دار العودة ، بيروت ، ط2 ، ص 140 .

[2] – يمنى العيد ، في معرفة النص ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط3 ، 1985 ، ص 100 .

صميم (شعرية) القصيدة في مستوياتها الإيقاعية والدلالية وقد استثمر جبران هذه التقنية (التكرار) ووظفها توظيفا جيدا .

جاء في الأجنحة المتكسرة قول الكاتب على لسان سلمى كرامة : « **فقالت : أريدك أن تحبني ، أريدك أن تحبني إلى نهاية أيامي ، أريدك أن تحبني مثلما يحب الشاعر أفكاره المحزنة ، أريدك أن تذكرني مثلما يذكر المسافر حوض ماء هادئ رأى فيه خيال وجهه قبل أن يشرب من مائه ، وأريدك أن تذكرني مثلما تذكر الأم جنينا مات في أحشائها قبل أن يرى النور ، وأريدك أن تفكر بي مثلما يفكر الملك الرؤوف بسجين مات قبل أن يبلغه عفوه ، أريدك أن تكون لي أخا وصديقا ورفيقا ، وأريدك أن تزور والدي في وحدته وتعزيه في انفراده...**».[2] فهذا المقطع ليتفجر شعرية نابعة من التكرار الناشئ

عن لفظة "**أريدك** "التي عملت على تعميق الدلالة من جهة ومكونة إيقاعا من جهة أخرى.

فالتكرار أصبح يتجاوز الوظيفة التأكيدية الإفهامية المعروفة لدى الخاص والعام ، ليصبح تقنية جمالية تختلف درجتها وطريقتها من كاتب لآخر ، إذ نجده يتلون ويتغير في النص ذاته ومن التكرار أيضا ما ورد في الأرواح المتمردة على سبيل المثال لا الحصر على لسان السيدة وردة في فصل (وردة الهاني) قولها :« **هذه هي القصور التي لم أرض أن أكون من سكانها ، هذه هي القبور التي لم أرد أن أدفن حية في لحودها ، هؤلاء هم الناس الذين تخلصت من عوائدهم وخلعت عني نير جامعتهم ، هؤلاء هم المتزوجون الذين يقترنون بالأجساد و يتفارقون بالأرواح** »[1].

---

[1]- جبران خليل جبران ، سلسلة إحياء التراث العربي ، الأجنحة المتكسرة ، ص 82.

[2]- نفسه ، ص 93 .

فتكرار بعض الضمائر وأسماء الإشارة ، تولد عنه جرس أسهم في بروز إيقاع خاص للنثر. وكذلك يتحقق الإيقاع في تساوي الجمل وتسارعها ، قال الكاتب « **ضيف عزيز ترقبت سلمى قدومه ، ولكنه ما حل حتى ارتحل ، وما فتح مصراعي الباب حتى اختفى... جنين ما صار طفلا حتى صار ترابا ، وهذه حياة الإنسان ، بل حياة الشعوب ، بل حياة الشموس والأقمار والكواكب** »[2].

فشعرية هذه الجمل تكفل للنثر نشاطا جماليا تبدو فيه الجملة السردية أقرب إلى الشعر الغنائي حيث الثراء الصرفي والإيقاع والألفاظ الموحية ، هذا وقد حفلت المدونتين بعديد التكرارات التي أضافت نوعا من الشعرية على النثر القصصي ، وتكسر رتابة الإيقاع الواحد للسرد .

2-3- شعرية التناص

إن التناص كظاهرة أدبية ، له أثر كبير في تحديد مرجعية النصوص وتداخلها فهو العمل الذي يعيد بموحبه نص ما كتابة نص آخر ، والمتناص هو مجموع النصوص التي يتماس معها عمل ما بالإيحاء ، الإدراج .

وتعرفه " جوليا كريستيفا " بأنه « في فضاء كل نص عدد من الملفوظات مستمدة من نصوص أخرى تتقاطع ويلغي بعضها بعضا »[1] ، غير أن الرواية بشكل عام لا تخضع لخاصية الإلغاء التي تكلمت عنها كريستيفا ، ذلك لأنها حين التناص تحافظ على بنيتها إلى

---

[1] – المصدر السابق ، ص 156 .

[2] – نفسه ، ص 157 .

أبعد حد ممكن ، وبالتالي فهي تعرف نوعا من الاستقرار والاستقلالية ، على الرغم من خضوعها للتناص ، بأشكاله المتعددة من تضمين واقتباس وتوظيف شتى أشكال التراث .

والتناص بالمفهوم الحديث والمتعدد التعاريف « ظهر لأول مرة على يد الباحث باختين وقد استعملته جوليا كريستيفا في عدة أبحاث لها...وقد آثار مصطلح التناص اهتماما كبيرا في الأوساط الغربية ذلك أن الإجراءات التي تضمنها بدت كتعويض منهجي لنظرية التأثير التي قامت عليها أبحاث الأدب المقارن وأدت عدم دقة هذا المصطلح إلى تعميمات مختلفة »[2] ، ولهذا فإن هذا المفهوم الذي انتشر بسرعة ، ووجد طريقة في الدراسات الأدبية الحديثة لا يزال مبهم فمن الدارسين يركز على الألفاظ والنص الموجود في النص الحاضر (المقبل) ، ومنهم من يركز على الدلالات التي يوحي بها النص الحاضر .

ويعرف جابر عصفور التناص بقوله : « يشير المصطلح إلى الفاعلية المتبادلة بين النصوص ، فيؤكد مفهوم عدم انغلاق النص على نفسه وانفتاحه على غيره »[1]، وأول ما نلاحظه استدعاء جبران لاقتباسات وتضمينات وإشارات فتنفتح المدونتين على خطابات متعددة ونصوص كثيرة ترتادها ، وتؤولها فتتداخل فيها وتتمازج معها مشكلة بناء جديدا مستحدثا ولا ريب أن الكتابة الروائية الحديثة في حاجة من حيث المنطق الذي بنيت عليه إلى هذه التفاعلات والتداخلات النصية ، فالنص لا يتأتى له أن يؤسس كيانه إن لم يكن متعلقا بخطابات مغايرة وبأنماط متنوعة من الكتابة كالتاريخية والدينية والأسطورية والصوفية والتراثية ، فلا يتحقق نحت الكيان في عالم الرواية عموما إلا بالخروج عن واحدية الخطاب

---

[1]– عبد القادر بن سالم ، مكونات السرد في النص القصصي الجزائري الحديث ، بحث في التجريبي وعنف الخطاب عند جيل الثمانينات دراسة من منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق سوريا 2001 ، ص41 ، www .awu.dam .org

[2]– ينظر : المرجع نفسه ، ص 41 – 42 .

ونمط الكتابة المنفردة إلى جمالية التعدد والتنوع ولذة الامتزاج والتداخل في لحظة إبداعية جمالية قادرة على صهر هذا المتعدد في وحدة الرواية .

وما يجعل النتاص ملحما غنائيا في المدونتين ليس تقاطع النصوص وتنوعا في القصتين وإنما الشعرية تتأتى من تطعيم الكاتب نصه بنصوص من التراث كالكتاب المقدس واستدعاء شخصيات مشهورة مما أدى إلى توليد دلالات جديدة عمقت تجربته واكتساب ثراء ولعل الملمح الأكثر بروزا في المدونتين **التناص الديني** ، فنجده استعمل العديد من المفردات المعجمية الدينية حيث ورد في الأجنحة المتكسرة على سبيل المثال لا الحصر **(التجلي ، الموت ، الارتقاء الروحي ، السكينة ، خمرة الآلهة ، راحة القبر ، روحي إلى**

ظل الله ، الكليات الأزلية ، عانقت الأبدية روحه) ، وفي الأرواح المتمردة : **(النار المقدسة ، سلاسل الشريعة التي قيدت جندي ، الدير ، الرهبان ، راحيل ، يسوع الناصري ، مشيئة الله)** .

وهو ما يبرز بوضوح تأثر جبران الديني واستفادته من هذا المعجم الدلالي ، ومن التناص الديني ما نجده أيضا في الأجنحة المتكسرة حيث تبدو جليا النزعة الدينية التي تقرب جبران من اليسوع الذي يمثل رمز تحمل الألم والصبر عليه ، وأيضا نزعة التصوف

« لم **أكن أرى مواكب الأجيال سوى أشباحها السوداء** »[1] ، بمعنى حب الألم والصبر عليه والتداوي ، فهو يهرب من ألمه إلى ألم الآخرين ومعاناتهم ، ليزيد النفس صبرا على الألم وخلاصها لها من عبودية النفس وتحررا لها من الشهوة وسموا لها في الحب ، وورد أيضا قوله : « **فيسفر أيوب كان عندي أجمل من مزامير داود ، ومراثي أرميا كانت أحب لدي من نشيد سليمان ، ونكبة البراكمة أشد وقعا في نفسي من عظمة العباسين ، وقصيدة ابن**

---

[1]– ينظر : المرجع السابق ، ص 47 .

زريق أكثر تأثيرا من رباعيات الخيام ورواية هملت أقرب إلى قلبي من كل ما كتب الإفرنج [2]**.»**

فسفر أيوب كتاب من آيات الأدب الشرقي (من كتب التوراة) وأغناها شاعرية يعرض مشكلة الشر في العالم التي لا يوجد لها حلا إلا في الخضوع لله من خلال قصة أيوب عليه السلام . أما مزامير داود وهو من أجزاء التوراة تعنى بالأناشيد والترانيم والتسابيح ومراثي أرميا التي تتحدث عن نبوءة تملأها عواطف الأسى وتنبأ بالكوارث في حالة البعد عن الرب . ولا يختلف نشيد سليمان عن سابقيه فهو من الكتب المقدسة ومن أسفار التوراة يصور حب الرجل للمرأة ، هذا الحب الذي هو هبة من الله .

كما تجلى **التناص مع الشخصيات المشهورة** في مقاطع سردية كثيرة ، نجده يذكر شخصيات أدبية كابن زريق والخيام صاحب الرباعيات وهملت ، وقيس العربي ودانتي الطلياني « **ذلك الخبز السحري الذي ذاق طعمه قيس العربي ودانتي الطلياني وسافو اليونانية فالتهبت أحشاؤهم وذابت قلوبهم** »[1] . كما بدا تأثره بالفيلسوف والشاعر الألماني " **نيتشه** " واضحا في النصين السرديين بتمرده على كل المقدسات ، وكان " نيتشه " أكثر ما يكون ظاهرا في فصل " بحيرة النار " فصل التمرد على الواقع في " الأجنحة المتكسرة " ذلك أنه أسهب كثيرا في التحدث عن السلطة والاستغلال « **إن رؤساء الدين في الشرق لا يكتفون بما يحصلون عليه أنفسهم المجد والسؤدد بل يفعلون كل ما في وسعهم ليجعلوا أنسباءهم في مقدمة الشعب ومن المستبدين به ...** »[2] .

وجاء في الأرواح المتمردة ذكر لتعاليم وأقوال اليسوع الناصري « **إن يسوع الناصري قد بعثكم كالخراف بين الذئاب ، فأي التعاليم جعلتكم تصيرون كالذئاب بين الخراف ؟ لماذا**

---

[1] - جبران خليل جبران ، سلسلة إحياء التراث العربي ، الأجنحة المتكسرة ، ص124.

[2] - نفسه ، ص 124 – 125 .

تبتعدون عن البشر ؟ وقد خلقكم الله بشرا إذا كنتم أفضل من الناس السائرين في موكب الحياة عليكم أن تذهبوا إليهم وتعلموهم وإن كانوا أفضل منكم امتزجوا بهم وتعلموا...»[3].

فهذا التعالق مع أسفار التوراة والشخصيات الدينية والتاريخية والأدبية أضفى جمالية تنوع المرجعيات وإنتاج الدلالة الجديدة باعتبار التناص يتوغل في الذاكرة المشتركة بين المؤلف والقارئ ، ويغذي المعارف المشتركة التي تقيم للتفهم جسورا ، وتؤمن عملية الفهم والتأويل .

2-4- شعرية السرد الذاتي واستخدام عناصر السيرة الذاتية

2-4-1- شعرية السرد الذاتي :

يميز الشكلاني الروسي " توماتشفكسي" بين نمطين من السرد " سرد موضوعي" و " سرد ذاتي" ، ففي نظام السرد الموضوعي يكون الكاتب مطلعا على كل شيء حتى الأفكار السرية للأبطال ، أما نظام السرد الذاتي فإننا نتبع الحكي من خلال عيني الكاتب[1].

ويرتبط السرد الذاتي بالرؤية الداخلية حيث تروى الأحداث من وجهة نظر شخصية شاهدة على الأحداث أو مشاركة فيها ، ويطلق جيرار جينت على الرؤية الداخلية " البؤرة الداخلية " وهي تنقسم عنده إلى :

---

[1] – المصدر السابق ، ص59.

[2] – نفسه ، ص 80.

[3] – نفسه ، ص 71.

1 . بؤرة ثابتة ، حيث يمر كل شيء في الرواية عبر شخصية واحدة .

2 . بؤرة متغيرة ، أي التي تمر عبر عدة شخصيات .

3 . البؤرة المتعددة .

ويقوم السرد في المدونتين من خلال بؤرة سرد داخلية ثابتة إذ أن أغلب الأحداث تمر عبر شخصية واحدة من بداية الأحداث إلى نهايتها ، هذه الشخصية هي الراوي نفسه ، بطل القصة .

والذي يعنينا هنا في استخدام الكاتب لأسلوب السرد الذاتي عبر بؤرة سرد داخلية ثابتة ، إن هذه التقنية السردية تعد أبرز المقومات التي فرضت الأسلوب الغنائي على النثر القصصي الجبراني .فإذا عرجنا على شخصيات المدونتين وجدنا عبارة عن دمى تتحرك بين يديه دون أن يفسح المجال أمامنا حتى تعبر عن عواطفها و مشاعرها ، فهو كان ينطق الأشخاص بغير كلامهم ويجعلهم يتصرفون بغير تصرفهم ويظهر ذلك في قول :

« **فقالت تخاطبه : قد جئت لتأخذني يا ولدي جئت لتدلني على الطريق المؤدية إلى الساحل ها أنا يا ولدي فسر أمامي لنذهب من هذا الكهف المظلم** »[1].

فأهم ما يميز أعمال جبران السردية إقحام الذات التي تسعى إلى توظيف كل الصيغ والأساليب اللغوية ، قصد الحضور في النص وإعلان هويتها وهو ما يؤدي إلى الإخلال بموضوعية عملية القص ذاتها ، لأنها تصبح خاضعة لسلطة المؤلف ولاختياراته وهو ما نلمسه فيما يلي : جاء في الأرواح المتمردة « **فرفعت الوالدة رأسها وأصغت هنيهة ثم أجابت**

[1]– موقع انترنت wikipedia .org (د ت) .

: لا ، لا أسمع سوى عويل الأرياح يا ابني ، فقالت الصبية : أنا قد سمعت صوتا أعمق من هزيم الريح وأمر من عويل العاصفة »[2] .

ومما جاء فيها أيضا خاضعا لسلطة المؤلف : « **وأمسكت السيدة وردة بيدي وقادتني إلى جانب النافذة التي كانت تنظر منها نحو تلك المنازل والقصور وقالت : تعال فأريك خفايا هؤلاء الناس الذين لم أرض أن أكون مثلهم...**»[3].

2-4-2- شعرية استخدام عناصر السيرة الذاتية :

لا تخطئ العين حضور شخصية جبران في القصتين ، فثمة شذرات كثيرة تحضر فيها السيرة الذاتية له ، وحضور عناصر السيرة الذاتية يكسر من الإبهام السردي ليعطي القارئ فرصة لالتقاط الأنفاس وعقد المقارنة بين ما هو خيال وما هو واقع ، وكأننا بجبران يقدم لنا نفسه فالأجنحة المتكسرة تستند كسائر أقاصيص جبران إلى عنصر واقعي إلى مرحلة بداية صباه , كان يتأرجح فيها بين فتاتين (حلا الطاهر , وجوزيفين بيلودي) وما بطلة قصته سلمى إلا مزيج منهما , فحلا كانت تلتقيه كسلمى في معبد قديم في هيكل مارتمورا , حيث لا يزال المعبد أطلالا في بشرى , وأحيانا في غابة دير مارسركيس وعرض جبران على حلا أن ترحل معه فأبت كما أبت سلمى .

---

[1]- جبران خليل جبران ، سلسلة إحياء التراث العربي ، الأجنحة المتكسرة ، **ص124**.

[2]- جبران خليل جبران ، سلسلة وحي القلم ، الأرواح المتمردة ، **ص 62**.

[3]- **نفسه ص 20** .

[1]- جبران خليل جبران ، سلسلة إحياء التراث العربي ، الأجنحة المتكسرة ، **ص 90**.

سلمى زوجت رغما عن إرادتها فغمر حياتها الشقاء , لكن جوزيفين تزوجت بإرادتها ولم تشق , إنما الكاتب تصورها تعيسة تلبية لرغبة مكبوتة « **أنا لا أحب هذا الرجل لأني أجهله ، وأنت تعلم أن المحبة والجوالة لا تلتقيان ، ولكن سوف أتعلم محبته ، سوف أطيعه واخدمه واجعله سعيدا ، سوف أهبه كل ما تقدر المرأة الضعيفة أن تهب للرجل القوي ، أما أنت فلم تزل في ربيع العمر ، أمامك الحياة طريقا واسعة مفروشة بالأزهار والرياحين** »[1] .فقبل ظهور هذه القصة " الأجنحة المتكسرة " التي رواها جبران بصيغة المتكلم ، وهي في الحقيقة كما أشرنا تمت بصلة دقيقة بحياته الخاصة ، حدث جبران عنها " ماري هاسكل " مؤكدا لها أنه غريب عن أحداث هذه الرواية ، قالها لها :" الكتاب يخلقون شخصياتهم وفي خبرتهم ، أما أنا فلا ، الأشخاص والحوادث كلها من خلقي ، وأنا علي يقين بأن أي كتاب يسرد قصة شاب يستيقظ على الحياة مع قصة حب جدير بأن يدعى سيرة ذاته ، الكاتب يتخذ أحيانا صفة المتكلم ، إني أحب " سلمى كرامة " لأنها شخص حقيقي بالنسبة إلي"[1] .

أما الأرواح المتمردة فهي صورة لفكر جبران ونظرته لمختلف القضايا التي تمس الإنسان

وتمرده على التقاليد البالية التي وقف ضدها منذ بدايات حياته في قرية بشرى ورافقته طيلة مسيرته « **باطلة هي الاعتقادات والتقاليد التي تجعل الإنسان تعسا في حياته , وكذابة هي العواطف التي تقوده إلى اليأس والحزن والشقاء ولان واجب الإنسان أن يكون سعيدا على الأرض... »**[2] .

والذي يعنينا أن تلك الإشارات السابقة تؤكد حضور السيرة الذاتية للكاتب في الرواية حضورا قويا ، وهذا ما دفعنا إلى اعتبار المدونتين شكلا قصصيا مميزا ، يمكن أن نسميه مع الباحث العراقي عبد الله إبراهيم سير روائية « وهي نوع من السرد الكثيف الذي يتقابل فيه الراوي والروائي ويندرجان معا في تداخل مستمر ولا نهائي ، يكون الروائي مصدر لتخيلات

الراوي ، الكيان الجسدي والنفسي والذهني والروائي وإعادة صوغ الوقائع واحتمالاتها وكل وجوهها .... وشكل من أشكال فن السيرة الروائية هي سرد ذاتي مباشر حتى لو استعان الراوي بالصيغ الموضوعية , هناك باستمرار خزن للتجربة الذاتية » [3] .

وتتحقق الشعرية عبر السيرة الذاتية من خلال صهر عنصر السيرة فنيا في السرد مما يدفع المتلقي إلى شحن الوعي والقيام بعمل المشاركة بين الواقعي والتخيلي في القصة.

2-5- شعرية الإيحاء والتصوير

عمد عديد من الكتاب في صياغة قصصهم إلى شاعرية الإيحاء ، والتضمين والوصف ، واستخدام التشابيه ، والنعوت ، والأحوال ، والصور البلاغية المجازية القائمة على المشابهة والمجاورة ... فإن تميز الشعر بالتصوير والأساليب البلاغية فهذا لا ينفي أن لغة السرد قد تستخدم الصور والمجازات فلا تكاد تخلو رواية من ذلك . كما يؤكد الدكتور " يوسف نوفل " « أن شاعرية التصوير ركن من أركان التجربة اللغوية في الأعمال الأدبية ، يتجلى أكثر في الشعر ، لكنها في الوقت نفسه تسهم في الأعمال القصصية والمسرحية إذا ما وظف التوظيف الملائم والمناسب على مستوى السرد والحوار على حد سواء بما فيها من تجسيم وتجسيد وحركة وصوت ولون »[1] ، لكن حضور هذه العناصر في السرد حضور مختلف عنه في الشعر ، فما مدى حضور الإيحاء والتصوير في قصص جبران ؟.

من الملاحظ أن جبران تتلون لغته بخصائص الشعرية وتتسم لغته بالإنزياحات والمنافرة لغة زاخرة بالصور الشعرية وخاصة الاستعارة وهذا ما يدعم شعرية لغته . ففي قصص

---

[1]- ينظر : المصدر السابق ، ص 19.

[2]- نفسه ، ص 90.

[3]- عبد الله إبراهيم ، السيرة الروائية ، إشكالية النوع والتهجين السردي ، مجلة علامات الدار البيضاء ، ع19 ، 2003 ، ص17.

جبران تتولد الاستعارات وتتناسل وهي في أغلب الأحيان استعارات مركبة فتشكل الاستعارة عناقيد من الصور فتتكثف الإيحاءات وتثير فينا اللغة متعة التلذذ بالسرد الشاعري ، فلا تكاد تخلو صفحة واحدة من صفحات المدونتين من صور مجازية أو أكثر. جاء في الأجنحة المتكسرة قول الكاتب « **إن نفسك التي تسمع همس الأزهار وأغاني السكينة لتستطيع أن تسمع صراخ روحي وضجيج قلبي**»[2] .

فاستعار من الأذن السماع وألحقها بالنفس ، وجعل الأزهار تهمس كما الإنسان فكيف لا تستطيع إذن أغاني السكينة أن تسمع صراخ روحه وضجيج قلبه . هي استعارات وتشابيه تتوالد وتتوالد مشكلة في تمازجها روعة الأسلوب الجبراني .

وقوله :« **ظمأ الروح أعظم من ارتواء المادة وخوف النفس أحب من طمأنينة الجسد**»[1] لأن ظمأ الروح هو ظمأ إلى مصدرها إلى الكمال...إلى الله ، فيما يكون ارتواء المادة فساد لأنه ابتعاد عن هذه الحقيقة وانصراف إلى ما يفصل الروح عن مصدر وجودها عن الخير المطلق ، ولذلك يرى جبران أن الموت يحرر من عبودية الجسد وسجن المادة ، وأن الحياة بعد الموت هي الحياة الحقيقية ، وما هذه الحياة الدنيوية سوى حلم وسراب كاذب ، وذلك يتجلى من خلال حديث جبران على لسان أحد أبطاله " فارس كرامة " مخاطبا ابنته وهو على فراش الموت :« **دعي روحي تستيقظ لأن الفجر قد لاح والحلم قد انتهى** »[2] ، فما دام الموت يحرر الروح من عبودية الجسد فإنه يعيدها إلى مصدر وجودها . فمن الملاحظ أن الكاتب أفرغ الدوال من مدلولاتها الاصطلاحية ، وشحنها بمدلولات جديدة تتباعد

---

[1]- يوسف نوفل ، النص الكلي ، سلسلة كتابات نقدية ، قصور الثقافة ، القاهرة 2004 ، العدد : 142 ، ص 292.

[2]- جبران خليل جبران ، سلسلة إحياء التراث العربي ، الأجنحة المتكسرة ، ص 83.

[1]- المصدر السابق , ص 104 .

[2]- نفسه ، ص 105.

فيها علاقات المشابهة ، مما يثير الملتقى ويدفع خياله للتخيل والتصور. وكثافة التصوير تسهم في تعزيز الطاقة الإيحائية وإضفاء مسحة من الغموض الفني تترك القارئ يبين إمكانيات دلالية مختلفة ، فمما لاشك فيه أن الكثير من النقاد أدركوا ما للغة جبران من حضور دلالي مميز والذي تمطي حقولا دلالية مختلفة اقتبسها من الطبيعة أو من الحقول المادية ليصف بها عالما روحيا أو ينزع بها إلى الاتجاه العاطفي للنفس البشرية ، فهو يستخدم النقيض المرفوض لديه وهو العالم المادي ليعبر به عن مثاليته ونزعته الروحية ، فنراه يعبر عن الواقع الاجتماعي الذي يعوق رقي المرأة وتطورها بمكامن اللصوص وكهوف الذئاب ، ليبرز تربص هذا الواقع الطاغي بالمرأة « **فإذا كانت المرأة قد ارتقت بشيء وتأخرت بشيء آخر فلأن العقبات التي تبلغنا قمة الجبل لا تخلو من مكامن اللصوص وكهوف الذئاب...**»[1] ، كما يصفها بـ « **نظير زهرة اختطفها تيار النهر**»[2] .

كما يتجلى في مقارنته بين الشعوب الضعيفة ومستغليها بالذئاب والقطعان ، في وصفه للمرأة بالشعاع ، والأمة بالسراج ، والنفس الكئيبة بالغزال الجريح ، ثم للصبية بالزنبقة . أضف إلى ذلك وصفه الممتد لمعنى الأمومة في« **كل شيء في الطبيعة يرمز ويتكلم عن الأمومة فالشمس هي أم هذه الأرض ترضعها حرارتها وتحتضنها بنورها ولا تغادرها عند المساء...وهذه الأرض هي أم للأشجار والأزهار تلدها وترضعها ثم تفطمها، والأشجار والأزهار تصير بدورها أمهات حنونات للأثمار الشهية والبذور الحية**»[3] .

---

[1]- المصدر السابق , ص 105 .

[2]- نفسه ، ص 105.

[3]- نفسه ، ص 117.

[4]- جبران خليل جبران ، سلسلة وحي القلم ، الأرواح المتمردة ، ص 113.

كما شكلت الأرواح المتمردة لوحات نصية زاخرة بالإيحاءات والتصوير، قال الكاتب متحدثا عن الحرية : « **اسمعينا أيتها الحرية ارحمينا يا ابنة أثينا أنقذينا يا أخت رومة خلصينا يا رفيقة موسى أسعفينا يا حبيبة محمد علمينا يا عروسة يسوع قوي قلوبنا لنحي أو شددي سواعد أعدائنا علينا فنفنى وننقرض ونرتاح**»[4] ، هكذا كان خليل الكافر يناجي الحرية التي جسدها وشخصها جبران فصار لها دورها في القصة ، فجبران يلجأ إلى تجسيد بعض المفاهيم المعنوية أو تشخيصها وجعلها تتحرك وتتحدث وتتصارع لتلعب دورها كشخصيات في القصة التي يبنى عليها النص ويصورها تصويرا سينمائيا يلغي به الحدود الزمانية الفاصلة بين الصورة اللغوية والصورة المرئية .

فهاهو يشخص الحب بقوله :« **أحببتها وأحبتني مذ كنا صغيرين نلعب بين المنازل نمونا ونما الحب معنا حتى صار سيدا قويا نخدمه بعواطف قلبينا فيستميلنا إليه ونهابه بسرائر روحينا فيضمنا إلى صدره**»[1] ، فاستعاد من الإنسان بعضا منه ليهبها للحب فيلبسه بها تاج السيادة .

والصور المجازية سواء كانت مفردة أو مركبة كثيرة في النص تلعب دورا كبيرا في الكشف عن باطن الشخصية أي أنها تقوم بوظيفة درامية إلى جانب وظيفتها الشعرية المتمثلة في إثراء المعنى . من ذلك قوله أيضا في الأرواح المتمردة على لسان الكاتب متحدثا عن المحبة التي جمعت خليل الكافر بمريم « **منذ تلك الدقيقة تمازجت عواطف خليل بعواطف مريم وصارت نفساهما شعلة واحدة متقدة ينبعث منها النور ويتضوع حولها البخور**»[2].

---

[1]- المصدر السابق ، ص 37.

[2]- نفسه ، ص 83.

خاتمة

تستوقفني المحطة الأخيرة من البحث لأحاول من خلالها أن ألملم شتات الأفكار وشوارد الآراء حول شعرية السرد القصصي عند " جبران خليل جبران " . وللوقوف على أهم النتائج التي قادتني إليها دراستي ، ومن أهمها ما يلي :

* أن مصطلح " الشعرية " ، مصطلح قديم قدم التنظيرات الأدبية ، سواء في ذلك تنظيرات النقاد العرب أو تنظيرات النقاد الغرب ، حيث وردت في نصوصهم وإن اختلف مدلولها . وما يمكن قوله بخصوصها أنها علم يهتم بخصوصية النص الأدبي وتميزه .

* جبران خليل جبران الشاعر والرسام والأديب القاص ، يأخذنا بعيدا في مجموعته القصصية (الأجنحة المتكسرة والأرواح المتمردة) بأسلوبه الراقي ، والذي لا يخلو من تأملات صافية ومبدعة وتصوف جلي ؛ لكن تصوف على الطريقة الجبرانية .

* أن سرده ينهل من الشعر ، فلغة الشعر حاضرة في المدونتين السرديتين (الأجنحة المتكسرة والأرواح المتمردة) ، حضورا قويا .

* يتمتع النص الجبراني بشعرية تتجلى في جوانب عدة وهو ما جعل أعماله تترك بصمة لا تنمحي مع الزمن وأثرا لا تزيله عواصف الحروف الأخرى . وتتجلى خاصة في اللغة الهاربة إليه من معاييرها وفي قوة الإيقاع ، وفي شعرية التناص في بناء نصوصه ودقة التصوير والإيحاءات المتجددة وحضوره الدائم في أعماله .

* لعل أهم ما يميز أعمال جبران السردية حضور ضمير المتكلم بشكل ملفت للنظر، فذات الكاتب تتسلل في جل سردياته ، معلنة هيمنتها على مجريات القص وكذا سلطتها على كل ما يجري بين الشخصيات ، فالكل يسير وفق ما تقتضيه إرادة الكاتب ، وكل شي يحدث من على مرأى ومسمع منه ، فلا شي يتجاوز حدود إرادته الحاضرة بكل الصيغ المعبرة عن الذات المهيمنة . ورغم ما يشكله ذلك من شعرية إلا أنه من جهة أخرى يؤثر سلبا على موضوعية عملية القص .

* وما استوقفني أيضا في دراستي هذه ، وما يجدر الإشارة إليه والتنبيه عليه ، ذلك الفكر الذي تحمله سرديات جبران ، فإن كنا لا ننكر ما لإعماله من حضور أدبي ينبض غنائية ساحرة ، إلا انه لا يمكننا أن نوافق جبران في اعتقاداته ، فالتقاليد والأعراف والشرائع كلها ترفض أن تسير جنبا إلى جنب وأفكار جبران ، فأنى للخيانة مثلا أن تلبس ثوب الوقار وتصبح عنوانا للعفة والمحبة ، فعذرا يا جبران .

وفي الأخير أتمنى أن أكون قد وصلت إلى ما كنت أسعى إليه ، وعزائي في أي تقصير أن الذين يأتون من بعدي سيواصلون هذا المسار .

قائمة المصادر والمراجع

أولا : المصادر

1- انطوان القوال ، المجموعة الكاملة من مؤلفات جبران خليل جبران (نصوص خارج المجموعة) دار الجبل ، بيروت ، ط1 ، 1992 .

2- جبران خليل جبران ، سلسلة وحي القلم ، الأرواح المتمردة ، دار تلا نتيقت للنشر ، بجاية ، ط 2003.

3- جبران خليل جبران ، سلسلة إحياء التراث العربي ، الأجنحة المتكسرة ، تقديم كرم الدكروري ، دار مصر للطباعة – القاهرة ، (دط) ، 2011 .

4- جميل جبر ، المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران ، دار الجبل ، بيروت ، (دط) ، 2002 م.

5- الزمخشري ، أساس البلاغة ، مادة "شعر" ، دار صادر ، بيروت ، ط1 ، 1979 .

7- ابن فارس ، مقاييس اللغة ، مادة (شعر) ، ج3 ، دار الفكر، دمشق ، (د ط) ، 1979

8- ابن منظور ، لسان العرب ، مادة الراء ، فصل الشين ، دار صادر ، بيروت ، ط1 ، 1992 .

ثانيا: المراجع العربية

1- إحسان عباس ، فن الشعر ، دار صادر ، عمان ، ط1 ، 1996 .

2- أدونيس ، مقدمة للشعر العربي ، دار العودة ، بيروت ، ط3 ، 1979 .

3- أنطوان غطاس كرم ، محاضرات في جبران ، دار الرائد للطباعة ، القاهرة ، مصر (د.ط) ، 1964 .

4- بريك نزار هنيدي ، الأجنحة المتكسرة لجبران خليل جبران مع مقدمة عامة ودراسة

تحليلية ، دار رسلان للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، (د ط) ، .2008

5- بشير تاوريريت ، رحيق الشعرية الحداثية ، مطبعة مزوار، الجزائر، (د . ط) ، (د .ت) .

6- حسن ناظم ، مفاهيم الشعرية ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1 ، 1994 .

7- حنا الفاخوري ، الجامع في تاريخ الأدب العربي ، الأدب الحديث ، دار الجيل ، بيروت ، ط1 ، 1986 .

8- جمال الدين بن الشيخ ، الشعرية العربية ، ترمبارك حنون ومحمد الولي ومحمد أوراغ ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء المغرب ، ط1 ، 1996 .

9- رشيد يحياوي ، نظرية الأنواع الأدبية ، إفريقيا للشرق ، الدار البيضاء ، ط2 ، 1994 .

10- عبد السلام المسدي ، الأسلوبية والأسلوب ، الدار العربية للكتاب ، تونس ،ط3(د ت).

11- سعيد علوش ، معجم المصطلحات العربية المعاصرة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ط1 ، 1985 .

12- علي أحمد سعيد أدونيس ، الشعرية العربية ، دار الآداب ، بيروت ، ط2 ، 1989.

13- فيصل الأحمر ، معجم السيميائيات ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط1 ، 2010

14- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، تعليق : محمد محمود شاكر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط5 ، 2004 .

15- كاضم سلمان ، معجم القراء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002 م ، دار الكتب

العلمية ، بيروت ، ج1 ، ط1 ، 2007 م .

16- كمال أبو ديب ، في الشعرية ، مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت ، ط1 ،1991 .

17- مرشد الزبيدي ، اتجاهات نقد الشعر في العراق ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، (دط) ، 1999 .

18- عبد الله محمد الغذامي ، الخطيئة والتكفير ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط4 ، 1998 .

19- محمد مهدي الشريف ، معجم مصطلحات علم الشعر العربي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 2004 .

20- محمد يوسف نجم ، القصة في الأدب العربي ، الجامعة الأمريكية ، دار الثقافة ، بيروت لبنان ، ط 3 ، 1960 .

21- ناظم حطيط ، أعلام ورواد في الأدب العربي ، الشركة العالمية للكتاب ، دار الكتاب اللبناني ، مكتبة المدرسة ، ط1 ، 1987 .

22- يمنى العيد ، في معرفة النص ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط3 ، 1985 .

ثالثا : المراجع المترجمة :

1- تزفيطان تودوروف ، الشعرية ، تر : شكرى المبخوت ورجاء بن سلامة ، دار توبتال ، المغرب ، ط2 ، 1990 .

2- جون كوهين ، النظرية الشعرية ، تر : أحمد درويش ، دار غريب ، القاهرة ، ط 4 ، 2000.

3- رومان جاكسبون ، قضايا الشعرية ، تر : محمد الولي ومبارك حنون ، دار توبتال ،

المغرب ، ط1 ، 1988 .

رابعا : المجلات

1- عبد الله إبراهيم ، السيرة الروائية ، إشكالية النوع والتهجين السردي ، مجلة علامات الدار البيضاء ، ع19 ، 2003 .

2- كمال الريحاني ، حوارات ثقافية في الرواية والنقد والقصة والفلسفة، حوار مع بوشوشة بوجمعة ، مجلة عمان ، مطابع الصحفية الأردنية ، العدد 97 ، 2003 .

3- محمود الهميسى ، براعة الاستهلال في صناعة العنوان ، الوقف الأدبي ، اتحاد كتاب العرب دمشق ، ع33 ، 1997 .

4- مجلة كفربو الثقافية ، مجلة الإلكترونية ، عدد 35 ، 2014.

5- يوسف نوفل ، النص الكلي ، سلسلة كتابات نقدية ، قصور الثقافة ، العدد 142 ، القاهرة ، 2004 .

خامسا : الرسائل الجامعية

1- صلاح السروي ، تداخل النصوص والأنواع الأدبية " مجموعة أبحاث وشهادات ، بعنوان الأنواع الأدبية العابرة للنوع ، جامعة الزقازيق ، مصر ، مارس 2009 .

2- قصة " وردة الهاني " القصيرة لجبران خليلي جبران ، دراسة رومانتيكية ، بحث مقدم إلى كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة شريف هداية الله الإسلامية الحكومية جاكارتا ، 2010 .

سادسا : المواقع الإلكترونية

1- أيمن اللبيدي ، في الشعرية والشاعرية ، ج 1 ، " ناشري ، أوت 2003 ،

.www.nashiri.net

2- جاسم خلف إلياس ، اللغة القصصية /الشعرية في القصة القصيرة جدا ، نشر في : 2008/11/02 ، موقع : www.alnoor.se.

3- حسين مزدور ، الشعرية العربية في التراث النقدي ، مجلة الموقف الأدبي ، منشورات اتحاد كتاب العرب ، دمشق سوريا ، أكتوبر 2004 ، من موقع الأنترنت -www.awu dam.org

4- طراد الكبيسي ، في الشعرية العربية ، قراءة جديدة في نظرية قديمة ، منشورات اتحاد الكتاب العرب 2004 ، من موقع الأنترنت www.awo-dam.org

5- عبد القادر رجاء ، شعرية الرواية في (القوس والفراشة) لمحمد الأشعري ، نشر في : 2014/08/19 ، موقع الإنترنت essaouiranews.com .

6- عبد القادر بن سالم ، مكونات السرد في النص القصصي الجزائري الحديث ، بحث في التجريبي وعنف الخطاب عند جيل الثمانينات دراسة من منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق سوريا 2001 ،www .awu.dam .org

7- موقع انترنت المركز العربي للمعلومات (Aic) Email.info@arabsino.com

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

مقدمة : ..... أ - ج

فصل تمهيدي :

1- الدلالة اللغوية والاصطلاحية للشعرية 6-8

1-1 - الدلالة اللغوية ..... -6-

1-2- الدلالة الاصطلاحية . ..... -6-

2- علاقة الشعرية بالعلوم اللغوية الأخرى 9- 10

2-1- علاقة الشعرية باللسانيات .....-9-

2-2- علاقة الشعرية بالأسلوبية .....-9-

2-3- علاقة الشعرية بالسيميائية .....-10-

3- تداخل الأجناس الأدبية وشعرية القص 11-12

الفصل الأول : **الشعرية عند العرب وعند الغرب .**

1- الشعرية عند العرب 14-19

1-1- الشعرية عند العرب القدامى . ..... -14-

1-2- الشعرية عند العرب المحدثين . ..... -17-

2- الشعرية عند الغرب 20-23

2-1- الشعرية عند الغرب القدامى . ..... -20-

2-2- الشعرية عند الغرب المحدثين . ..... -21-

الفصل الثاني : **جبران خليل جبران ومكانته الأدبية**

1- جبران الإنسان والمبدع 25-28

1-1- جبران الإنسان . ..... -25-

2-1- جبران المبدع . ..... -28-

2- مكانة جبران الأدبية 29-34

2-1- مكانة جبران الأدبية عند العرب . ..... -29-

2-2- مكانة جبران الأدبية عند الغرب. ..... -31-

الفصل الثالث : **مظاهر الشعرية في النص الجبراني**

1- مضمون المدونة الجبرانية(نماذج) 36-42

1-1- الأجنحة المتكسرة . ..... -36-

1-2- الأرواح المتمردة . ..... -28-

2- مظاهر الشعرية في النص الجبراني 43-63

2-1- شعرية اللغة . ..... -45-

2-2- شعرية الإيقاع . ..... -49-

2-3- شعرية التناص . ..... -52-

2-4- شعرية السرد الذاتي واستخدام عناصر السيرة الذاتية . ..... -56-

2-4-1- شعرية السرد الذاتي . .....-56-

2-4-2- استخدام عناصر السيرة الذاتية . .....-58-

2-5- شعرية الإيحاء والتصوير . ..... -60-

خاتمة 64-66

قائمة المصادر والمراجع 67-72

فهرس الموضوعات 73-75

تم بحمد الله